الصحافة المصرية

من عام ١٩٤٠ إلي عام ١٩٥٢(*)

تعتبر هذه الفترة من تاريخ الصحافة المصرية أزهي الفترات التي عاشتها صحافتنا فقد كانت تعيش في ظل الأحكام العرفية معظم هذه الحقبة أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم عدة سنوات أخري خلال حرب فلسطين.

وبالرغم من الرقابة العنيفة التي فرضت علي هذه الصحافة بمقتضي الأحكام العرفية، واستغلال جميع الأحزاب لهذه الرقابة التي كبتت كل رأي وحاربت كل فكر، فإن الصحفيين عاشوا أحداث تلك الأيام مجاهدين أبطالا، وكافحوا طغيان الحاكم بلباقة مكنتهم من تسجيل عورات النظام، وكشف المستور من سوءاته، وبيان وجه الحق في المسائل العامة التي كانت تهز أعصاب المواطنين وتؤرق حياتهم في تلك الأيام.

وكانت هناك نحو مائة جريدة ومجلة معظمها تصدر باللغة العربية، وظهرت في تلك الأيام وقبيلها بقليل دور جديدة للنشر ومؤسسات صحفية مصرية خالصة في مقدمتها المصري

Scanned with CamScanner

تعالج من أمور الساعة أو تنشر من الأخبار الخطيرة ما عز علي الصحف الأخري الحصول عليها أو منافستها في ذلك الميدان[١].

وكانت هناك الصحف القديمة كالأهرام التي صدرت في سنة ١٨٧٦ وهي صحيفة وقور عاصرت حياة مصر، وكانت إلي جانب نهضة البلاد معظم تاريخها، وبلغت حد التطرف في ثورة ١٩١٩ ثم التزمت الحيدة في الشئون السياسية بعد ذلك، حتي بدت صورة من جريدة التايمز اللندنية فلا تنشر خبراً يشوبه الشك أو تعالج حدثاً إلا من الناحية الموضوعية، كما أخذت علي نفسها أن تكون اللسان الرسمي للحكومة المصرية – حكومة أي حزب – وإن لم يمنع ذلك من فتح صدرها وصفحاته للمعارضة بين آن وآخر[٢].

---

(١) يراجع في تاريخ جريدة المصري رسالة الماجستير التي وضعتها سهير اسكندر راغب فهمي في فترة من حياة الجريدة ولم تطبع بعد وكذلك رسالة الدكتوراه التي وضعتها الدكتورة مها محمد كامل الطرابيشي " دور الصحافة المصرية" في التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٤٢-١٩٥٢" وهي لم تطبع بعد، وهاتان الرسالتان تعدان شائقان وممتازان لمن يعني بمثل هذه الدراسات.

Scanned with CamScanner

وكانت " المقطم " الصحيفة الشآمية الثانية التي صدرت منذ أكثر من ثمانين عاماً في حجر الإنجليز، ومضت لساناً لهم بالحق والباطل، ومطية لكل حكومة تحكم البلاد.

وكانت هناك صحف ومجلات أخري معظمها ألسنة لأحزاب الأقلية تعالج الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية البلاغ والسياسة والدستور والكتلة وغيرها وإن لم تبلغ إحداها شأو ما ذكرنا من صحف، كما ظهرت إبان الفترة التي نعرض لها في هذا الفصل صحف تمثل المذاهب الاجتماعية الجديدة، كالاشتراكية والشيوعية وفي مقدمتها صحف أحمد حسين وهي مصر الفتاة والاشتراكية والشعب الجديد والصرخة والضياء والثغر.

كما ظهرت في عهد الحكومة الوفدية الأخيرة (١٩٥٠-١٩٥٢) أخطر الصحف اليسارية، ومنها: الملايين، والجمهور العربي، والفجر الجديد، وكانت حرية الصحافة في ذلك الوقت قد بلغت عصرها الذهبي، إذ رفعت الحكومة عن كاهل الصحف الرقابة وألغت الأحكام العرفية، ولم تصادر صحيفة إلا بحكم

Scanned with CamScanner

وأخبار اليوم، لتنافس صحافة الشآميين المتمصرين، كالأهرام والمقطم ودار الهلال وغيرها، وجاءت صحافة المصريين بجديد في الفن الصحفي لم يعرف في الصحف الأخري.

وكانت " المصري " التي آل مصيرها آخر الأمر إلى محمود أبو الفتح وأسرته قد نضجت مفاهيمها الصحفية في الأربعينات متأثرة بالصحافة الإنجليزية كما ظهرت " أخبار اليوم " بفنها الصحفي الجديد متأثرة بالصحافة الأمريكية، وبدت المصري وكأنها لسان الوفد وهو أكبر الأحزاب المصرية وصاحب الجهاد الكبير من أجل الاستقلال والديمقراطية أكثر من ثلاثين عاماً، وكان يجري في فلك سياسة المصري صحف وفدية أخري أكثر تطرفاً وإن لم تبلغ مكانة المصري في الإخراج والتحرير أوفي الانتشار. أو التأثير في الرأي العام.

وكانت أخبار اليوم علي رأس الصحف المعارضة للوفد، وكان يجري في فلكها أيضاً صحف أخري لم تستطع جميعها أن تنال من الوفد شيئاً، فانكمشت أو احتجبت وبقيت أخبار اليوم في ميدان المعارضة بفنها الصحفي الجديد، وموضوعاتها المثيرة وقدرة صاحبيها مصطفي وعلي أمين علي جنب القراء بما كانت

Scanned with CamScanner

قضائي، ولم تمنع صحيفة من الصدور، وكانت تراخيص الصحف تمنح بلا عائق بالرغم من علم الحكومة بأن جميع الصحف الجديدة تمثل جهة تعارضها وتتحداها، وتهاجمها في قسوة وعنف وفي شئ من التجني أحياناً.

وكانت تلك الصحف الشيوعية أو اليسارية لا تؤثر في الكتلة الشعبية الضخمة التي تدين بالولاء لحزب الوفد، وإنما كان تأثيرها واضحاً وملموساً في بعض بيئات المتعلمين، وكانت صحفاً لا ينكر فضلها في علاج المشاكل الاقتصادية والدفاع عن العامل والفلاح، ومهاجمة الحكومة والملك والإنجليز بعنف منقطع النظير، وفي شجاعة دفعتها إلي المطالبة بثورة تطيح بالنظام، الأمر الذي عرض أصحابها للمحاكمة التي أنصفها فيها القضاء، وقد شاركها في المطالبة بإصلاح حال الكادحين بعض صحف الحكومة الوفدية كالمصري، وبعض الصحف المعارضة كأخبار اليوم التي دأبت علي نشر المقالات النارية أيام الأحكام العرفية وبعدها[١].

Scanned with CamScanner

وبرز في تلك الفترة نشاط ملحوظ في صفوف الجماعات الإسلامية التي بلغت أوجها في جماعة الإخوان المسلمين وهي جماعة قادها مدرس من الإسماعيلية، وكان خطيباً مفوهاً وغالماً في شئون الدين، واستهوت دعوته كثيراً من الشباب، واستقطب شخصيات لها تاريخ، وكان ظهور الإخوان المسلمين ضرورة تاريخية وحتمية لظهور الشيوعيين والاشتراكيين، إلا أن الدعوة الإسلامية الجديدة هددت الأحزاب جميعاً فحاربتها الأحزاب جميعاً. وإن كان الوفد أقل الأحزاب كراهية لها واقلها حرباً عليها، وكان للإخوان صحف ومنشورات ومقر معروف، فحوربوا في صحفهم واضطهدهم الحزب السعدي خاصة اضطهاداً شديداً حين شارك في الحكم بعد وزارة الوفد التي أقيلت سنة ١٩٤٤، فقام شاب من الإخوان بقتل رئيس الحكومة أحمد ماهر في حرم البرلمان، وقام آخر بقتل خليفته محمود فهمي النقراشي في وزارة الداخلية، وقيل إن خليفة النقراشي وثالث الرؤساء السعديين إبراهيم عبد الهادي أنتقم لسابقيه فأعد للشيخ حسن البنا زعيم الإخوان لمسلمين كميناً أمام مبني جمعية الشبان المسلمين فقتله بعض ضباط الأمن أمام المبني وفروا هاربين.

ناقشت الصحف المصرية في تلك الأيام المشاكل الاقتصادية والاجتماعية بشكل ملحوظ، وفي دراسات ممتعة عميقة وموضوعية أيضاً، وشهدت تلك الصحف أقلاماً قوية مستنيرة، وبحوثاً شائقة عن كل موقع في الحياة المصرية يشغل بال المفكرين، وتتجه جميعها إلي علاج اليأس الذي رنا علي حياة العمال والفلاحين وضرورة رفع المعاناة عن هذه الطبقات الكادحة بفرض الضرائب علي القادرين، وذهبت بعض الأقلام إلي ضرورة توزيع الأرض علي الفلاحين معلنة شعار " الأرض لمن يفلحها" وهي دعوة شيوعية خفف من خطرها اتجاه المسئولين في مجلس الشيوخ والنواب إلي تحديد الملكية بخمسين فداناً وهي دعوة اشتراكية، وكلتا الدعوتين خبت جذوتهما بعد حين، ولكن إلي حين.

وقد استجابت الحكومات المتعاقبة من سنة ١٩٤٠ إلي سنة ١٩٥٢ إلي تحقيق كثير من الأهداف والقوانين التي دعت إليها

Scanned with CamScanner

الصحف ومحرروها، سواء من كتابها أو من المصاحفين[١] الذين كانت لهم مقالات وبحوث غاية في الدقة والامتياز.

وكانت حكومة الوفد من ١٩٤٢-١٩٤٤ أو حكومته من ١٩٥٠-١٩٥٢ أكثر الحكومات استجابة للتيارات الجديدة، بل كانت القوانين التي صدرت لصالح العمال والفلاحين في فترتي حكم هذا الحزب من برامجه وأهدافه، وبذلك بشرت بها صحفه قبل أية صحيفة أخري وخاصة جريدة المصري، بالإضافة إلي حدث خطير تم خلال حكم الوفد في ذلك الوقت، وهو مجانية التعليم التي تقررت لأبناء الشعب الذين أعجزهم الفقر عن ارتشاف مناهل العلم التي كانت وقفاً علي الأغنياء أو القادرين من الطبقة الوسطي.

وقد تميز تاريخ الصحافة المصرية فيما بين سنوات ١٩٤٠ و ١٩٥٢ بأحداث سياسية خطيرة شغلت الصحافة والرأي العام طوال هذه الفترة، ولفتت الانتباه إلي مصائر الوطن الذي تعرض بهذه الأحداث السياسية الخطيرة إلي هزات فكرية جديدة.

(١) المصاحف من يكتب للصحيفة من خارج سواء بتكليف منها أو من عندياته مثل الأستاذ مصطفى مرعي الذي نشر في تلك الصحف، مقالات نارية ضد النظام وضد الأوضاع السياسية والاقتصادية.

وكان من الأحداث التي استغرقت جهد الصحافة والصحفيين ومواقع السلطة والبرلمان بمجلسيه - الشيوخ والنواب - قضية ٤ فبراير والكتاب الأسود وحرب فلسطين ومشروع القانون الذي تقدم به إلي مجلس النواب اسطفان باسيلي عضو مجلس الشعب الحالي، وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وكانت أخطر الأحداث حادث الدبابات التي حاصرت الملك في قصر عابدين في ٤ فبراير ١٩٤٢ لتفرض عليه أحد حلين، إما أن يتنازل عن العرش أو يدعو مصطفي النحاس إلي تولي شئون الحكم.

وقد شغلت قضية ٤ فبراير المؤرخين في السنين الأربعين الأخيرة، وقد اختلفوا في أمرها أشد الاختلاف؛ وقد أعتبرها معظمهم عورة في جبين حزب الوفد، وقرر بعضهم أن الوفد قد انتهي تاريخه بهذا الحادث، وكان هذا رأي جميع أحزاب الأقليات كالأحرار الدستوريين والسعديين والحزب الوطني ومعظم الصحف المعارضة، وسجل هذا الرأي محمد حسين هيكل باشا في كتاب له، وأعلنته مذكرات إبراهيم باشا عبد الهادي التي

Scanned with CamScanner

كتبها وقام بنشرها الصحفي محمد علي أبو طالب في مجلة روز اليوسف، وفيها يروي عن عبد الهادي أنه يـري أن حـادث ؛ فبراير كان نتيجة مؤامرة بين السفير الإنجليزي والنحاس باشـا وأمين عثمان باشا[1] وإن لم يغمط النحاس حقه حين قـرر أنـه مثال للوطنية والأمانة والطهارة.

لقد كان النحاس باشا بعد إقالته فـي ٣٠ ديـسمبر ١٩٣٧ مبعداً عن الحكم بعد تزوير الانتخابات التي أجرتها أحزاب الأقلية في سنة ١٩٣٨ وبلغ فساد الحكم ذروته إذ ذاك وانتشرت موجـه من الاغتيالات لكثير من الشخصيات المصرية، وأصبح الملـك يسوس الملك كملك ورئيس وزراء.

وقد رجعنا في قضية ٤ فبراير إلي مـصادرها الأصـلية مستعينين بالوثائق الإنجليزية الرسمية التي كانت محظوراً النقـل عنها حتى انتهت مدة حبسها عن الباحثين، وأصبحت في متناول أي إنسان، وبذلك أمكن بيان وجه الحق في هذه القضية.

Scanned with CamScanner

ولما كانت الحرب العظمي الثانية قد أعلنت فقد فرضت الأحكام العرفية وتمكن الملك نتيجة لذلك من العبث بالدستور علي نحو ليس له نظير أو مثيل، واستطاعت حكوماته المتتالية أن تفرض الرأي الواحد وتقضي علي الحريات فالصحف تخضع للرقابة والرقيب والاجتماعات العامة محظورة ، والمعتقلات، للأحرار فتحت أبوابها علي مصراعيها، العبث بقوت الشعب فرصة للإثراء وبيع الرتب والألقاب تجارة رابحة.

واندلعت الحرب العظمي الثانية وعلي رأس الحكومة علي ماهر تؤيده أحزاب الأقلية، ويندفع الرجل في مؤازرة الحلفاء، فيلبي طلبات القيادة الإنجليزية، بل يتحسس رغباتها فيؤديها طواعية بلا سؤال، فإذا بدأت ألمانيا في انتصاراتها الخرافية علي الإنجليز وحلفائهم، قلب لهم ظهر المحن، فكان ألمانيا أكثر من الألمان، كما أنحاز الملك إلي إيطاليا حليفة برلين، فكان إيطاليا أكثر من الطليان.

في الوقت الذي كان أعداء الدستور والحريات لا شاغل لهم إلا التكالب علي كراسي الحكم وانتهاز فرصة الأحكام

Scanned with CamScanner

العرفية للكسب الحرام، كان النحاس يطالب الحكومة الإنجليزية في مذكرة قدمها لها بالجلاء التام في مصر والسودان عقب الحرب، وحق مصر في الاشتراك في مفاوضات الصلح لترعي بحضورها مصالح بلاده، ويحتج عن الوقت نفسه على إعلان الأحكام العرفية في مصر في الوقت الذي تخوض إنجلترا الحرب دون إعلان هذه الأحكام في بلادها.

وخطب النحاس في الناس متحدياً الأحكام العرفية[1] حاملاً على الإنجليز " الذين يحاربون عن الديمقراطية في بلادهم ويدأبون على العمل ضد الديمقراطية في مصر، ولا ريب أنه إذا لم تكن الديمقراطية واحدة في كل البلاد التي تناصرها فليست إذاً هي فكرة يدافع عنها ومبدأ يناضل من أجله بل تكون هي والديكتاتورية سواء.".

وقد بلغ الفساد ذروته حتي شح القوت في الأسواق، وهاجم الشعب المخابز والمطاحن وسارت المظاهرات تهتف بسقوط الإنجليز وتدعو " روميل " أن يتقدم لينقذ البلاد[1].

ووجد الإنجليز أن سكوتهم علي أنحياز الملك للإيطاليين، ونشاط علي ماهر في بث الدعاية للألمان، وقيام القصر بترتيب المظاهرات المعادية لهم، وجدوا أنه لابد أن يغامروا بعزل الملك ثم تأليف حكومة قومية تفرض الأمن والنظام، فتقدموا إلي الملك بانذار في ٤ فبراير ١٩٤٢ يطلبون تأليف وزارة" إئتلافية". بزعامة مصطفي النحاس.

لقد كان حسين سري قبيل أزمة ٤ فبراير مباشرة رئيساً لمجلس الوزراء، وكان الرجل صنيعة من صنائع الإنجليز، وما كان يبرم أمراً أو يقضي في شأنه إلا بالرجوع إليهم أولاً، وكانت علاقته متوترة بالملك حتي أنه ذهب إلي السفير يشكوه ويطلب

(١) كان روميل قائد قوات المحور [illegible]

Scanned with CamScanner

إليه في ٢٠ يناير ١٩٤٢ أن يتعاوناً " لتأديب هذا الصبي وتخويفه بين آن وآخر".

وقد اجتمع رئيس الوزراء حسين سري أول فبراير ١٩٤٢ بالسفير وأتفقاً علي أن يقدم استقالته وأن يطلب السفير من الملك أن تؤلف " وزارة إئتلافية" برئاسة النحاس باشا ويقول السفير في كتابه " وتناقشنا معاً في ترتيب هذا الموضوع"[١] وإذن فقد بدأ التدبير لحادث ٤ فبراير بين حسين سري والسير لامبسون السفير البريطاني، لا بين السفير وبين النحاس وأمين عثمان.

لقد كان النحاس في قنا عندما بدأت الأزمة، يزور ضريح سيدي عبد الرحيم القناوى ﷺ ، فاستدعاه الملك ليؤلف " وزارة إئتلافية" وهو طلب كيلرن سفير إنجلترا في مصر، ولم يطلب السفير وزارة وفدية برياسة النحاس بل طلب وزارة يرأسها النحاس أو يباركها وتتألف من جميع الأحزاب.

١- المصدر سنة ١٩٤٢ طبعة ١٩٧٢

أما عن نصيب أمين عثمان من هذه المؤامرة فقد دحضتها برقية السفير لوزير خارجيته حين سجل فيها أنه " من محاسن الصدف أن أمين عثمان باشا طلب مقابلتي هذا الصباح، وكنت قد أمتنعت عن مقابلته خلال الشهور الثلاثة الماضية منعاً لأي شائعات عن تدبير مؤامرات مع السفارة أما الآن فالوضع قد تغير وخاصة أنه موضع ثقة النحاس[١].

أما عن نصيب النحاس في هذه القضية، فننشر نص المذكرة التي كتبها وكيل الخارجية الإنجليزية إلي وزيره إيدن عقب حادث تطويق الدبابات الإنجليزية لقصر عابدين في يوم ٤ فبراير ١٩٤٢.

قال وكيل الخارجية في مذكرته " علي أن لدي تنبيهاً خطيراً أود أن أقدمه وأعتقد أنه ربما يغطي نقطة سوف تكلفنا كثيراً في المستقبل وهو أنه لم يحدث في أي وقت خلال الأزمة سواء فيما يتعلق بتعيين الوزارة الجديدة أو خلع الملك المحتمل، أن السير لامبسون قد دخل في اتصال شخصي مع النحاس،

(١) من وثائق وزارة الخارجية البريطانية الوثيقه رقم ٤١٦ في فبراير ١٩٤٢ الساعة ٦,٣٥ بعد الظهر.

Scanned with CamScanner

والنتيجة المترتبة علي ذلك هي أنه لن يكون متاحاً للنحاس أن ينكر فقط علانية (وهو سوف يفعل ذلك بكل تأكيد) بأنه مدين لتأييدنا بأي شئ أو أنه ملتزم نحونا بأي التزام وإنما نحن في الحقيقة لا نملك شيئاً نشهره في وجهه عندما تقع الأزمة المقبلة"[1].

وإنما يحذر وكيل الخارجية الإنجليزية وزيره بأن انتهاء الأزمة لا يعني بحال انتهاء المشاكل، فقد ولي الحكم رجل لا يستطيعون تجريحه أو التشهير به في مشكلة ٤ فبراير لأنه كان بعيداً عنها تماماً، وهو رجل عنيد ينتظر أن يؤرق حياتهم بالمطالب، وأنه يجب أن نتهيأ للقائه (في الأزمة المقبلة).

ونروى فصول تلك المأساة فنذكر أن النحاس عاد من قنا وذهب للقاء الملك فوجد عنده زعماء الأحزاب الأخري وبعض المستوزرين من بطانته وشرحوا له سبب الاجتماع وقصه الإنذار البريطاني بضرورة تأليف وزارة ائتلافية برياسته، وألح زعماء الأحزاب عليه ومعهم الملك، بأن يوافق علي تأليف تلك الوزارة

(1) F.O. 871 31 671 740 a Egypt وقد ترجم هذه الوثيقة الدكتور

حتي تتفادي البلاد نتائج الإنذار البريطاني، ويصان عرش مصر فلا تتقاذفه الأنواء.

ورفض النحاس أمرين، الأول الإنذار البريطاني ووقع مع زعماء الأقلية رفض ذلك الإنذار، والثاني تأليف وزارة ائتلافية، لأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وهو لا يريد أن يعيد مأساة الوزارة الائتلافية سنة ١٩٢٨ اتي أنسل منها المؤتلفون وزيراً بعد وزير واتخذها الملك فؤاد تكأة لإقالة وزارته "نظراً لتصدع الائتلاف".

ونقل الملك إلي السفير الموقف، فما كان من الأخير إلا أن حاصر قصر عابدين بالدبابات، وهدد بخلع الملك إن لم تؤلف وزارة برياسة النحاس.

ومن هذه الصورة الدقيقة التي سجلناها يبدو واضحاً تماماً أن النحاس كان خالي الذهن مما رتبه السفير، فلو كان متآمراً فما كان يمكن أن يرفض تأليف الوزارة الائتلافية وهو متفق بشأنها مع السفير، أو كان قد أتفق مع السفير علي أن تكون الوزارة وفدية ولا شريك لحزب فيها..

Scanned with CamScanner

ثم ماذا..؟

ذعر الملك، فعاد ودعا الزعماء علي عجل وعلي رأسهم مصطفي النحاس وألح علي الزعيم أن يؤلف وزارة وفدية فرفض مرة ومرة، وعندئذ رجاه الملك أن ينقذه واستحلفه بوطنيته وشجاعته، فقبل الرجل تأليف الوزارة وكتب إلي الملك يقول " إنكم قد أعربتم بلسانكم الكريم المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة عن ثقتكم في وطنية هذا الضعيف وإنكاره لذاته، مؤكدين أن هاتين الصفتين الكريمتين اللتين شاء فضلكم أن تسندوهما إلي تقتضيان علي أن أتقدم لإنقاذ الموقف"(١).

وخرج زعماء الأقليات يعلنون أن النحاس خائن لأنه قبل الوزارة لينقذ العرش والبلاد..!

عندما ألح أولئك الزعماء علي النحاس في حضرة الملك أن يؤلف من الوفد ومنهم وزارة كان ذلك عملاً وطنياً يضاف للنحاس من أمجاد، فإذا رفض وألف وزارة وحده كان ذلك خيانة للبلاد!

(١) مصطفى النحاس لمختار محمد سعد الدين

وحتي يحفظ النحاس حق البلاد ويصون استقلالها وجه إلي السفير رسالة يطلب فيها أن تقطع إنجلترا علي نفسها عهداً رسمياً يمحو الإساءة التي وجهتها لمصر في إنذار ٤ فبراير، وأنه يرفض هذا الإنذار ويعلن أنه قبل تأليف الوزارة من الملك بما له من حقوق دستورية، وبما تستمتع به مصر من استقلال تام في جميع شئونها، ورد عليه السفير بالتعهد المطلوب متضمنا الاعتذار عما تم في غيبه الدستور والحريات.

ونختم هذه القضية بوثيقة لعل فيها فصل الخطاب...

لقد ألفت الدولة من ثلاث سنوات لجنة لتسجيل التاريخ، وأعدت اللجنة تقارير شتي عن مسائل كثيرة كان من بينها تقرير عن ٤ فبراير، وقد أنتهت اللجنة فيه إلي تبرئة الوفد من هذه القضية وسجلت رأيها في هذا مدعماً بما عندها من بيانات، وطبعت من التقرير عدة نسخ تسلمت السلطات بعضها.

ثم شغل الرأي العام بالكتاب الأسود الذي أصدره مكرم باشا عبيد بعد إقالته من عضوية الوفد المصري، وبعد الخطأ الذي ارتكبه الوفديون بفصله من مجلس النواب مع بضعة أفراد

Scanned with CamScanner

من حوارييه، وأصبح هذا الخطأ سابقة دستورية خطيرة استغلتها حكومات ما بعد الثورة.

ولم يكن في هذا الكتاب ما يشين الوفد والوفديين إلا إسرافهم في ترقية الموظفين الوفديين إلي مراكز أعلي بحيث ضج سائر موظفي الدولة من تلك الاستثناءات التي أهدرت حقوقهم، أما ما جاء عن لفساد الذي تعرض له الكتاب الأسود، فلم يكن كله صحيحاً، ومع أن السلطان في كل عهد لا يخلو من بطانة سوء، وهذا ما أخذ علي الوفد إذ كانت في بطانته جماعة استغلت الحزب وحكومته، وهو أمر ما كان ينبغي أن يتاح فيه لمثل هؤلاء المستغلين أن يعبثوا في الأرض فساداً ، لأن الوفد يمثل الأغلبية الساحقة من شعب مصر فهو لمصر كلها، لهذا كان استغلال النفوذ الذي حدث إبان حكمه يبدو ضخماً وكبيراً بقدر ما كان الوفد ضخماً وكبيراً، وهو في الحق دون ما شهد المعاصرون من فساد الأحزاب الأخري التي كانت تري السلطان مغنماً، ولا يعنيها بعد ذلك شئ.

Scanned with CamScanner

ثم تجئ قضية الأسلحة الفاسدة التي كانت سبباً في هزيمة ١٩٤٨ كما كانت تقول وتزعم الصحف والمجلات المعارضة للملك إذ ذاك، والصحيح أن صفقات الأسلحة الفاسدة التي تم شراؤها لحساب السراي ومن يلوذ بالسراي من ضباط خربي الذمة قد تمت صفقاتها بعد حرب فلسطين وإعلان الهدنة بين البلاد العربية وعلي رأسها مصر وبين إسرائيل، وفي ذلك صدر حكم من محكمة الجنايات في سنة ١٩٥٤ برئاسة المستشار كامل البهنساوي، الذي جاء في حيثياته أن الأسلحة الفاسدة اشتريت بعد توقف الحرب بين مصر وإسرائيل.

وقد جاء الوفديون إلي الحكم سنة ١٩٥٠ بأغلبية ساحقة في الانتخابات الحرة النزيهة التي أجراها حسين سري باشا وهو محسوب علي الشخصيات التي تكره الوفد، وقد رأس عدة وزارات لأحزاب الأقلية التي تناهض الوفد والوفديين، وقد كان لنتيجة ذلك الانتخاب ضجة عالمية، لأن العالم بما قرأ وسمع من الصحف المعارضة للوفد والتي بشرت علي مدي ست سنوات بأنه كحزب سياسي قد انتهي أمره بعد حادث ٤ فبراير، أذهلته

Scanned with CamScanner

نتيجة الانتخابات التي ردت للنحاس باشا اعتباره، وبينت أنه لا يزال ضمير الأمة وقائدها.

وما أن تألفت الحكومة الوفدية حتى ألغت الأحكام العرفية وأطلقت الحريات، فانطلقت الصحف التي تمثل المذاهب الاجتماعية الحديثة تنشر أعنف المقالات ضد النظام وضد الملك وبطانته وضد الرأسمالية مطالبة بتغيير جذري في النظم والقوانين، حاملة – ومعها الصحف الوفدية- على الاحتلال والإنجليز وخاصة بعد قطع المفاوضات التي كان يجريها وزير الخارجية الوفدي مع الحكومة البريطانية لتعديل المعاهدة وإجلاء الإنجليز عن منطقة القنال.

ومن المعارك السياسية العنيفة التي شهدتها البلاد إذ ذاك موقف الصحف جميعاً وعلى راسها جريدة المصري وأخبار اليوم و روزاليوسف من القانون الذي تقدم بمشروعه اسطفان باسيلي أحد النواب الوفديين مستهدفاً حماية الملك من نقد تصرفاته المشينة والمعيبة.

Scanned with CamScanner

ويذكر لجريدة المصري في قضية مشروع هذا القانون السبق في معارضته، فقد تكتل النواب الشبان من الوفديين وفي مقدمتهم الدكتور عزيز فهمي ضد هذا المشروع وكان والده إذ ذاك رئيساً لمجلس النواب، وكاد الوفد أن يتصدع من عنف الهجوم والنقد الشديد لموقف الحكومة من هذا المشروع واختصت المصري وكان يرأس تحريرها في ذلك الوقت أحمد أبو الفتح، بنشر كل ما يصدر عن الشبان الوفدين في المجلس بشأن ذلك القانون كما كانت لرئيس التحرير مقالات من نار فلم يجد صاحب المشروع أمامه إلا أن يسحب مشروعه لتقف حملة الوفديين علي حكومة الوفديين..

ونختم هذا الفصل من تاريخ الصحافة المصرية بموقف عظيم وقفته الصحف والحكومة والأحزاب المعارضة معها، وهو إلغاء المعاهدة المصرية الإنجليزية التي وقعتها جبهة وطنية مع الإنجليز في سنة ١٩٣٦.

وقد ألهب شعور المصريين ما صدر من بيانات عن وزير الخارجية الوفدي الذي حمل حملة شعواء علي الإنجليز بمناسبة

Scanned with CamScanner

قطع المفاوضات التي أبي الإنجليز أن ينصتوا فيها بالمودة لطلبات المصريين التي كان أهمها الجلاء عن قناة السويس، فقامت المظاهرات الصاخبة في أغسطس ١٩٥١ وهو الشهر الذي وقعت فيه المعاهدة المذكورة.

وفي ٨ أكتوبر ١٩٥١ أجتمع مجلساً البرلمان (النواب والشيوخ) علي هيئة مؤتمر، وألقي النحاس باشا رئيس الوزراء بياناً مستفيضاً عن سياسة الحكومة بشأن معاهدة ١٩٣٦، ثم أعلن إلغاء هذه المعاهدة كما ألغي أتفاقتي ١٩ يناير و ١٠ يوليو ١٨٩٩ الخاصتين بإدارة السودان، ثم نادي بملك مصر ملكاً علي مصر والسودان، وختم النحاس بيانه بل قل أحسن الله إليه فختم تاريخه حين قال: " من أجل مصر أبرمت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها".

وعقب هذا البيان تألفت جماعات مسلحة قاد بعضها ضباط من الجيش أخذت تهاجم معسكرات البريطانيين في منطقة القنال حتي أضجت مضاجعهم وانضمت الحكومة إلي الثوار، وبدا ذلك واضحاً فيما قامت به وزارة الشئون الاجتماعية التي دعت

Scanned with CamScanner

العمال الذين في خدمة المحتل في القناة إلـــي الانـــسحاب مـــن مواقعهم ثم عينتهم في الوزارة، وقد لبي العمال هذه الدعوة وافتقد الإنجليز هذه الدعامة القوية التي كانت تيسر لهم البقاء في القنال.

وفقد الإنجليز أعصابهم وطلبوا من المسئولين المـــصريين في الإسماعيلية إخلاء المحافظة، فرفضوا ووقف جنود الـــشرطة يذودون عن بناء المحافظة بأسلحتهم المتخلفة أمـــام أقـــوي قـــوة ضاربة في تلك الأيام، ولم يتم للإنجليز غرضهم إلا علي أشـــلاء جنود الشرطة الأبطال.

وفجأة في ٢٦ يناير شبت الحرائق في مدينـــة القـــاهرة، وتقاعس حيدر باشا وكان علي رأس الجيش عن معاونة الحكومة بإنزال الجيش لوقف الفوضى في العاصمة، فإذا جـــاء المـــساء كانت القاهرة تشتعل، ولبي الملك طلب الإنجليـــز فأقـــال وزارة الوفد بعد أن أعلنت الأحكام العرفية، وأخذ فـــي تـــأليف وزارات هزيلة، فجاءت وزارة تلو الوزارة حتى حدثت حركة الجيش في ليل ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

Scanned with CamScanner

الباب الثالث

الصحيفة كوثيقة تاريخية

Scanned with CamScanner

الصحيفة كوثيقة تاريخية

إذا كان التاريخ والصحافة عاملين يدخلان في دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية فإن التاريخ أقرب هذه العلوم إلي الصحافة يرون قصة البشرية بأحداثها وكوارثها والظواهر الاجتماعية والأعمال المؤثرة في حياة الجماعة ويتناولها بالدراسة والتحليل والتعليل بينما يتناول التاريخ في العادة المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للنشاط الإنساني والأحداث الهامة والشخصيات المؤثرة التي لعبت دوراً هاماً في مجتمعاتها أي يتناول كل ما هو جدير بالمعرفة نلاحظ أن الصحافة تتعرض للأحداث الكبيرة والصغيرة وتهتم بمختلف الفئات والطوائف وأخبار الجرائم الفردية والجماعية، وتمد الصحافة الرأي العام بأكثر الأحداث الأنية فهي تحاول أن تنشر أحدث الأخبار بأسرع الوسائل.

وإلي جانب آنية الأحداث وسرعة نشرها وإتساع رقعة توزيعها استطاعت الصحف علي مدار الزمن أن تخلق وظائف جديدة بجانب وظائفها التقليدية إذا ترتب علي الوظيفة الأولي

Scanned with CamScanner

للصحافة وهي الإعلام وظيفة جديدة في التوثيق إذ أدت المعلومات التي يتميز بها العصر الراهن إلي تجاوز الموضوعات التي تتناولها الكتب باعتبارها حقائق قديمة وإلي إلقاء هذه المسئولية علي اكتاف الصحافة المعاصرة التي أسند إليها دور تجديد المعلومات والمعارف وذلك بسبب دوريتها التي تسمح لها بهذا الدور خيراً مما يقوم به الكتاب الذي لا يعاد طبعة بسرعة دورية الصحيفة.

فضلاً عن أن عدد قراء الكتاب أقل بكثير من عدد قراء الصحيفة. وإذا كانت الصحافة المعاصرة قد أصبحت مرجعاً وثائقياً لا يمكن الاستغناء عنه فإن ذلك يثير عدة قضايا تتعلق باستخدام الصحيفة كمصدر للتاريخ ومتي بدأ المؤرخون يعتمدون علي الصحف كمصادر للمادة التاريخية ولماذا؟ وهل ثبت الاستعانة بهذه الصحف كجزء من المصادر الأولية للبحوث التاريخية؟ أم اقتصرت أهميتها علي الخير؟ هذه التساؤلات سوف تقودنا إلي توضيح أبعاد القضية التي نحن بصدد معالجتها وهي متي تصبح الصحيفة وثيقة تاريخية..؟ ولماذا؟

Scanned with CamScanner

في الواقع أن الصحافة تعد ظاهرة من ظـواهر التـاريخ الحديث إذ يرجع ظهورها في أوروبا إلي القرن الخامس عـشر بعد أن اخترع يوحنا جـوتنبرج الطباعـة بـالحروف المعدنيـة المتفرقة. وكانت الصحافة إحدى ثمار عصر التنوير الأوروبـي. وقد تواكبت نشأتها مع إنهيار النظام الاقطاعي وظهـور القـوي الاجتماعية الجديدة التي حملت عبء بناء النهـضة الأوروبيـة الحديثة وقامت بإرساء أسس الرأسمالية الـصناعية فـي العـالم الغربي. ورغم أن بعض المؤرخين يرون أن المصريين القـدماء والرومانيين قد عرفوا الصحافة إلا إنه ثبت علميـاً أن الاخبـار التي كانت تنقش علي الحجر وتكتب علي أوراق البردي لا يمكن اعتبارها صحافة بالمفهوم المعاصر وإن كنا نعتبرها بالبـدايات الأولي لعلوم الإعلام والاتصال وقد اتخذت أشكال وأساليباً تتلاءم مع طبيعة المرحلة التاريخية التي ظهرت أثنائها. وبناء علي مـا سبق فإن الفترة التي شهدت نشأة الصحافة في أوروبا وهي نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر جعلت إمكانية استخدام الصحف كمصدر من مصادر التاريخ قاصـرة علـي التـاريخ الحديث والمعاصر فحسب. واستكمالا لهذه النتيجة فـإن مجـال

Scanned with CamScanner

الفترة التاريخية التي يمكن أن نستعين فيها بالصحف كمصدر يختلف من بلد إلي آخر طبقاً لاختلاف نشأة الصحف في كل منها.

مثلا في إنجلترا يتيح قدم الصحافة بها عن الكويت فرصة أكبر للاستعانة بالصحف الإنجليزية في الدراسات التاريخية الخاصة بإنجلترا أكثر مما يحدث بالنسبة للكويت. وفيما يتعلق بالدراسة التاريخية في مصر لم يلجأ المؤرخون إلى الصحف كمصدر للمادة التاريخية إلا منذ وقت قريب نسبياً بعد أن بدأ الاهتمام بدراسة التاريخ المصري المعاصر وقد فوجئ المؤرخون بوجود نقص شديد في المادة التاريخية الخاصة ببعض الأحداث أو الفترات التاريخية المعاصرة إذ لم تكن هناك مثلاً مذكرات الزعامات أو الساسة الذين شاركوا في صنع الأحداث فيما عدا القليل الذي كان متوافر علي شكل مخطوطات أو مطبوعات ولم يكن يفي بالغرض. عندئذ لجأ الباحثون إلي الصحافة واتخذوا منها مصدراً للمادة التاريخية وقد فسر المؤرخون المصريون ذلك بأن الصحف تتشابه مع نظام

Scanned with CamScanner

الحوليات التي كانت تعتبر مصدراً من مصادر الدرجة الأولي للبحوث التاريخية في الفترات السابقة علي القرن التاسع عشر الذي شهد مولد الصحافة المصرية.

فإذا كانت هذه الحوليات تسجل حوادث يومية فكذلك الصحف، بل أن الصحف تعتبر في نظر هؤلاء أغزر من ناحية المادة التاريخية لأنها لا تعتمد علي رؤية كاتب واحد للحديث ولكنها تعتمد علي وجهات نظر متعددة تقوم بعرضها. ومن هنا بدأ الاهتمام بالصحافة كمصدر للمادة التاريخية وأمتد هذا الاهتمام وشمل تاريخ مصر في القرن التاسع عشر حيث أعتمد الباحثون الذين عالجوا موضوعات تتصل بتاريخ مصر في عهد إسماعيل والاحتلال علي صحافة ذلك العهد واستطاعوا أن يسدوا بمادتهم فراغاً هاماً في المادة التاريخية التي قدمتها لهم مصادر أخري كالوثائق وكتابات المعاصرين. وفي هذا الإطار يري البعض أن كتابات الجبرتي التي كانت تتبع التقسيم الزمني يمكن أعتبارها تجاوزاً أحد أنواع الصحف ولكن كان يحررها شخص واحد بينما يساهم في تحرير الصحيفة أكثر، محرر يقومون

Scanned with CamScanner

بتغطية جميع جوانب القضايا المعاصرة سواء من الناحية الزمنية أو الموضوعية.

وبوجه عام يختلف المؤرخون في نظرتهم إلي الدور الذين تقوم به الصحف في البحوث التاريخية فهم قد يتفقون علي أهمية الاستعانة بالصحف في دراسة تاريخ القضايا الوطنية أما المسائل ذات الطابع القومي أو الدولي فهم يبدون بعض التحفظ والواقع أن هذه الرؤية ليست جديدة إذ يري البعض أن المعلومات التي تتضمنها الصحف مهما بولغ فيها فهي تعد مصدراً أولياً هاماً للتاريخ الوطني. وتعد المؤرخة الأمريكية لوسن ما ينارد سالمون من أشد. المناصرين لاستخدام الصحف في الدراسات التاريخية وقد قامت بجهد خلاق في إبراز قيمة الصحف في الكتابات التاريخية في كتابين أولهما بعنوان (الصحف والمؤرخ) ثانيهما الصحف والسلطة وقد قامت بتزويد القارئ بالعديد من الأمثلة والنماذج لإبراز كيفية استخدام الصحف كمصدر تاريخي في مختلف القضايا هذا وقد أدركت مسر سالمون منذ أربعين عاماً كثيراً من المشاكل المرتبطة باستخدام الصحف في البحوث

التاريخية وقد حذرت من الأحكام المسبقة أو القبول المطلق للصحافة وكتبت تقول (أن هناك بعض الصحف التي يمكن أن تكون حجة وذات قيمة عظيمة في كل قسم من أقسامها العديدة ومع ذلك لا تملك تأثيراً يوازي قيمتها الصحفية كصحيفة جادة بينما هناك صحيفة قد تبلغ في هبوط قيمتها الدرجة التي تصل إلي التزييف وعدم الاعتماد عليها كمصدر موثوق به ومع ذلك تمارس تأثيراً يفوق كثيراً قيمتها الحقيقية كما لاحظت أن الصحافة ككل في إمكانها أن تعلو علي القيود التي تحد من حركتها ولذلك يجب علي المؤرخ أن يعرف جيداً الخلفية التي سوف يستعين بها في دراسته وأن يسلم بكافة مواقفها واتجاهاتها وانتماؤها الأيديولوجي والاجتماعي سواء موقفها الشامل كصحيفة أو موقف كتابها ومحرريها.

ولا شك أن هناك تشابه بين اهتمامات كل من المؤرخين والصحفيين إذ يهتمون بتناول حياة البشر – نشاطاتهم – صراعاتهم – إنجازاتهم – إسهاماتهم في التاريخ الوطني والعالمي ويري البعض أن الصحفيين الأكفاء يلجأون غالباً إلي

Scanned with CamScanner

النظرة التاريخية في كتابتهم وقد تزايد هذا الاتجاه في المرحلة الراهنة كذلك يحاول بعض المؤرخين الأمريكيين الذين يعتبرون بحق رواد في استخدام الصحف كمصادر للتاريخ وهما جون باخ ماكستر وجيمس فورد ، وقد استخدم ماكستر الصحف كمصدر رئيسي في دراسات عن تاريخ شعب الولايات المتحدة الأمريكية الذي نشر عام ١٨٨٣ أما فورد فقد نظر أيضاً إلي الصحف كمصدر ذا قيمة عالية في قدرتها أن تعكس الأحداث المعاصرة وقد أشارا أكثر من نصف قرن إلي أن هدفهم كمؤرخين هو إدراك العلاقة الديناميكية بين الأحداث اليومية بعضها بالبعض الأخر فإذا تلونت هذه الأحداث بموقف أمين أو غير أمين فإن من السهل علي المؤرخ أن يدرك من خلال النقد الداخلي والنقد الخارجي لمحتويات الصحيفة ذاتها من أخبار وتعليقات وإعلانات وهناك بعض المؤرخين الذين اعتبروا أنفسهم صحفيين أكثر من منهم مؤرخين مثل هـ.ج. ويلز وكارليل الذي كان يعتقد أن التاريخ هو نوع من الصحف المحفوظة.

Scanned with CamScanner

ولا شك أنه من الصعب علي أي باحث متمكن أو صحفي كفء أن يتوقع أنه سيجد كل ما يتشده من بيانات ووجهات نظر (المادة التاريخية) داخل هذه الأطر المحدودة المهددة بالتلاغي والضياغ ولكن إذا كان العامل الزمني يمثل المحور الرئيسي لاهتمام المؤرخ فلا شك أنه لن يجد ذلك متوافراً إلا في الصحف التي تقوم بحفظ وتسجيل الأحداث كوحدات زمنية فالصحف تلعب دوراً متميزاً ورئيسياً في البحوث التاريخية ورغم التحفظات التي تتعلق بطبيعة ونوع المادة التاريخية التي يتطلبها كل بحث ولكن للصحيفة دورها الرئيسي في تزويد الباحث بالمادة التاريخية وخصوصاً المادة ذات الطابع الأخباري لأنه لا يمكن استقائها بنفس الدقة من المصادر الأخري كذلك في كتابة تاريخ الشخصيات لا يمكن إنجازه دون الرجوع إلي الصحف ومن الواضح أن المواد الإعلامية التي تنشرها الصحف اليومية تشكل العمود الفقري للمادة التاريخية وذلك علي عكس التعليقات والمواد الإخبارية التي تنشرها المجلات الأسبوعية أو الشهرية أو يبثها الراديو والتليفزيون.

Scanned with CamScanner

وهنا يبرز جانب هام يتعلق بدورية الصحيفة وأي الصحف أكثر أهمية واعتمادية للمؤرخ..

هل الصحيفة اليومية أم المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية؟ ويتفرع عن ذلك نقطة أخري تتعلق بنوعية الصحيفة - صحيفة الرأي وصحيفة الخبر وأيهما أكثر إفادة للمؤرخ..؟ يري البعض أن الصحف اليومية ذات الطابع الخبري رغم أهميتها البارزة في البحوث التاريخية ولكن نظراً إلي أنها لا تنشر جميع الأخبار بنفس درجة الاهتمام بل تختار بعضها وتبرزه علي حساب الأخبار الأخري لذلك لا يمكن إغفال احتمال تحيزها، وحينئذ لا يمكن الاعتماد عليهما إلا في التاريخ للأحداث والقضايا العامة. ولذلك يفضل البعض صحافة الرأي وخصوصاً إذا كان موضوع البحث يتعلق بوجهة نظر حزب أوجماعة سياسية معينة وهنا تصبح الصحيفة مصدراً أولياً أو مصدراً من مصادر الدرجة الأولي مثل دراسة الثورة الجزائرية من خلال جريدة المجاهد أو دراسة الأحرار الدستوريين من خلال صحيفتهم السياسية.. ولكن إذا كانت الدراسة التاريخية تتناول

ذلك يدخل في نطاق تاريخ الصحافة وليس التاريخ العام وتصبح الصحيفة حينئذ هي الوثيقة الأولي للدراسة ويمكن نقد ما جاء بها من خلال المقارنة المنهجية مع المصادر المعاصرة لها سواء كانت مصادر مباشرة تتمثل في أشخاص عاصروا الحدث أوشاركوا في صنعه مثال دراسة عن اتجاهات الصحافة المصرية نحو القضية الفلسطينية منذ وعد بلفور ١٩١٧ م إلي قيام الكيان الصهويني ١٩٤٨م. وإذا كان المهتمون بالدراسات التاريخية يفرقون بين التاريخ والتأريخ باعتبار أن التاريخ يعني رصد ما حدث في فترة معينة أما التأريخ فهو عرض لهذه الأحداث وتحليلها وتفسيرها والوصول إلي القوانين التي تحكم حركتها. فإن الصحف وفقاً لهذه التفرقة تستخدم كأداة التاريخ في دراسات التاريخ العام ولا تقوم بوظيفة التأريخ إلا إذا أصبحت هي الغاية الأساسية المحور الرئيسي الذي تدور حوله الدراسة وفي هذه الحالة تصبح جزءاً من تاريخ الصحافة وتقوم الصحافة كأداه للتاريخ بوظيفتين أولهما تتعلق برصد الوقائع وتسجيلها ووصفها والاحتفاظ بها للأجيال المقبلة كي تصير أحد مصادر التاريخ وثانيهما تدور حول القيام بتحديد وقياس الرأي العام

وأراء الجماعات والاتجاهات المختلفة إزاء وقائع أو قضايا معينة. ويمكن تحديد مجالات استفادة التاريخ العام من الصحافة علي النحو التالي:

أولا: التأكد من وقوع أحداث معينة من تحديد التواريخ بدقة.

ثانيا: التعرف علي الرأي العام السائد في مرحلة تاريخية معينة واتجاهات الرأي العام نحو قضايا معينة.

ثالثا: تحديد القضايا التي كانت تشغل المجتمع والسلطة السياسية في فترة معينة.

رابعا: تحديد مدي صدق الصحيفة عن التعبير من الواقع والآراء السائدة في مرحلة تاريخية معينة. علي أن هناك عدة ضوابط يجب مراعاتها لضمان كيفية الاستخدام الصحيح للصحف في الدراسات التاريخية. فعلي المؤرخ أن يلم إلماماً كافياً بالمصادر الصحفية التي سيعتمد عليها في انجاز دراسته التاريخية وعليه أن يراعي أثناء تطبيقه الخطوات المنهج التاريخي كل من الإطار الموضوعي والإطار الذاتي لهذه الصحف.

Scanned with CamScanner

والمقصود بالإطار الموضوعي: هو المناخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإعلامي السائدة أثناء فترة الدراسة. أما الإطار الذاتي: فهو يتعلق بالصحف ذاتها (التي يتم الاستعانة بها) سواء من حيث دورية صدورها (يمينية أو غير يمينية) ومدى انتشارها الجغرافي وطبيعتها الإعلامية (صحيفة رأي أم صحيفة خبرية) وانتمائها السياسي ومصادر تمويلها وموقعها من صحف عصرها ونوع الجمهور الذي.. تتوجه إليه ومصادر الأنباء التي تعتمد عليها. والواقع أن استخدام الصحيفة كمصدر تاريخي يطرح أمام الباحثين والمؤرخين عده مهام يمكن تلخيصها في نقطتين رئيسيتين: أولهما: تتعلق بنقد وتمحيص الصحف التي استقر الرأي علي استخدامها ويتم ذلك علي مرحلتين النقد الخارجي للصحيفة وتتضمن الإطار الموضوعي الذي سبق الإشارة إليه والنقد الداخلي للصحيفة وهو يتعلق بالإطار الذاتي الذي أشرنا إليه من قبل. ثانيهما: تتعلق بعملية التركيب التاريخي التي يقوم فيها المؤرخ بتنظيم وترتيب الوقائع التاريخية حتي تأخذ طابع التاريخ للفترة التي يبحثها. وغني عن البيان أن المؤرخ يحتاج من أجل إنجاز هذه المهمة أن يفسر الوثائق

التاريخية ومنها الصحف وأن يوضح مدى ارتباط هذه الوثائق بعضها ببعض كأن يذكر مثلا الأسباب التي أدت إلي اتخاذ الصحف الوفدية أو المعبرة عن الوفد موقفاً من القضية الفلسطينية أكثر راديكالية من موقف الوفد ذاته أو يشير إلي العوامل التي أدت إلي عدم تسجيل الصحافة المصرية لأحداث ثورية كثورة ١٩ ما عداً صحيفة المقطم التي كانت لسانا للاحتلال البريطاني في مصر. والحقيقة المؤرخ في هذه الحالة لا يقوم فقط بوظيفة تركيبية بل يمارس أيضاً مهمة تحليلية تتعلق بالوقائع التي أثبتها ويفترض لهذه الوقائع أسباباً أدت إلي حدوثها. فهو يستعرض التطور التاريخي علي نحو يجعله مقبولاً للعقل الإنساني.

أن خطوة الفحص موضوعيا وذاتيا تعد من أهم الخطوات التي يجب أن يوليها المؤرخ عناية خاصة فمن الناحية الموضوعية لابد أن يركز علي دراسة متغطية الأبعاد التالية:

١- البعد السياسي للفترة التي عاصرتها الصحيفة من حيث طبيعة السلطة السياسية هل ملكية أم جمهورية وهل

Scanned with CamScanner

تلتزم بالأساليب الديمقراطية أو الشمولية وعلاقة السلطة السياسية بالقوى السياسية والاجتماعية الأخري القائمة في المجتمع في تلك المرحلة وعلاقتها بأدوات التعبير الإعلامي السائدة وخصوصاً الصحافة.

٢- البعد الاقتصادي للفترة التاريخية موضع الدراسة ونوعية النظام الاقتصادي الذي تبنته السلطة السياسية القائمة أنذاك هل النظام الراسمالي أم النظام الاشتراكي أم النظام المختلط كما يجب دراسة مصادر الثروة والدخل وكيفية توزيعها علي الفئات الاجتماعية السائدة.

٣- البعد الاجتماعي للفترة ويتضمن الخريطة الطبقية بكل شرائحها المنتجة والطفيلية التي ظهرت أو اندثرت ودراسة العلاقة بين هذه الشرائح وبعضها وبينها وبين السلطة السياسية.

٤- البعد الإعلامي للفترة ويتضمن تحديد دقيق للخريطة الإعلامية من حيث وسائل الإعلام السائدة سواء المطبوعة أو المقروءة مع التركيز علي دراسة قوانين

Scanned with CamScanner

نوعية الجمهور الذي تتوجه إليه الصحيفة جمهور عام أم جمهور نوعي (عمال - فلاحين - طلبة - سكان مدن - سكان ريف).

د- البعد الاقتصادي للصحيفة ويتضمن دراسة مصادر تمويل الصحيفة (الإعلانات - الاشتركات - مصادر أخري) وهذا البعد يتميز بأهمية خاصة نظراً لاستخدامه في تحديد نوعية المصالح الاجتماعية والسياسية التي تعبر عنها الصحيفة من خلال تبعيتها الاقتصادية والمالية وكذلك يساعد علي تحديد حجم ودور الإعلانات وتأثيرها علي سياسة الصحيفة التحريرية ومدى التزامها بنشر الحقائق وفي إطارها الموضوعي أو الكلي أو الجزئي.

هـ- البعد السياسي للصحيفة ويتضمن علاقة الصحيفة بالسلطة السياسية ويتم هذا من خلال دراسة التشريعات والقوانين الخاصة بحرية التعبير والنشر بالإضافة إلي ضرورة رصد ممارسات السلطة السياسية تجاه الصحيفة أو مجموعة الصحف موضع الدراسة وهذا يتطلب تحديد

موقع الصحيفة علي الخريطة السياسية لحصرها هل كانت تمثل قوى اجتماعية وطبقية معينة ذات مصالح في إقناع الرأي العام لمعايير لها أفكار وصياغات تخدم هذه القوى ولا تعبر عن الحقيقة الموضوعية للواقع السائد.

مثال: تصوير الصحافة الفرنسية المناضلين الجزائريين بأنهم مجموعة من المارقين، تصوير الصحافة الإسرائيلية للفدائيين الفلسطينيين بأنهم مجموعة من الإرهابيين، تصوير الصحف الغربية للثورة الفرنسية بأنها كانت مذبحة للاقطاعيين الأبرياء.

الطابع الإعلامي الصحيفة ويتضمن التمييز بين كونها صحيفة وأي رأي صحيفة خبرية. فالمعروف أن صحف الرأي تحمل هويتها الفكرية والسياسية التي يمكن إدراكها بسهولة ويسر بينما يصعب كشف الانتماء الفكري والسياسي للصحيفة ذات الطابع الخبري كذلك يتحدد مجال استخدام الصحيفة في الدراسات التاريخية طبقاً لتحديد هذا البعد الخاص بكونها صحيفة راي أو صحيفة أخبارية وقد سبق الإشارة إليه.

Scanned with CamScanner

ز- البعد التكنولوجي للصحيفة ويتضمن دراسة الوسائل والإمكانيات الخاصة بالطباعة والإخراج الصحفي ومدى تلائم ذلك مع طبيعة وواقع الفترة التاريخية التي تصدر أثنائها الصحيفة.

و- مضمون المادة الإعلانية التي تنشرها الصحيفة، وتتضمن أشكال الإخراج وأنماط التحرير فضلاً عن السياسة التحريرية العامة للصحيفة ومدى التزامها بالقضايا أم الموضوعات الخفيفة، علاوة علي أسلوب تناولها وصياغتها للمواد الإعلانية وهل تتبني إسلوباً يعتمد علي الإثارة والتهويل والمبالغة أم تتميز بالجدية والموضوعية والصدق في صياغة الأحداث والظواهر وهل تركز علي الجوانب السلبية الهدامة جرياً وراء الإثارة والتشويق..؟

وهل تلتزم بعرض وجهات النظر المختلفة في معالجتها لقضايا عصرها أم تنحو منحني منحاز لأحد الأطراف علي حساب الأطراف الأخري..؟ وهناك بعض الاعتبارات

Scanned with CamScanner

والتحفظات الجانبية التي لابد أن يضعها المؤرخ أمام عينيه أثناء تعامله مع الصحف كمصدر للتاريخ منها:

١- قد تنشر الصحيفة خبراً ثم يرد تكذيب له بعد فترة زمنية قد تصل إلي شهر أو أكثر وهنا يجب التحفظ والرجوع إلي معاصري تلك الفترة أو المصادر التاريخية الأخرى للتثبت من صحة الخبر أو الحادث.

٢- تحاول أغلب الصحف التأكيد علي أنها تعبر عن الرأي العام في مجتمعاتها وبالطبع يجب أخذ هذا الأمر بكثير من التحفظ فقد تحرم إحدى القوى الاجتماعية الرئيسية من التعبير عن آرائها ومصالحها وفي هذه الحالة لا يمكن الاعتماد علي الصحيفة كمصدر تاريخي فقد تقع أحداث هامة كالإنتقاضات الشعبية التي يقوم بها الكادحون للتعبير عن مصالحهم في مواجهة الطبقات المسيطرة علي وسائل التعبير السياسي والإعلامي وبالتالي يتم تجاهل الحدث أو تشويهه.

Scanned with CamScanner

٣- الصحافة باعتبارها ظاهرة يومية كثيراً ما يستغرق الأحداث، غير الهامة والتي قد يكون لها قيمة تاريخية فيما بعد فليس كل ما تحويه صفحات الصحف يستدل به كمادة تاريخية وهنا يحق لنا أن نطرح تساؤل يتعلق بنوعية القضايا والموضوعات التاريخية التي تصلح لها الصحف كوثائق أو مصادر تاريخية هل رصد الوقائع والأحداث ومحاولة تفسيرها أم تتبع نشأة وتطور الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أم رصد الظواهر الفكرية والأيدلوجية أي مجال من مجالات الدراسة التاريخية تصلح له الصحف كمصدر أو وثيقة أكثر من سواه؟ لا شك أن مجالات التاريخ المختلفة سواء تاريخ البنى المادية أو تاريخ الظواهر الفكرية والأيديولوجية أو حتى سرد الأحداث تبدو حاجتها واضحة للصحيفة كأحد المصادر الأولية أو الثانوية ولكن ينفرد المجال الخاص بدراسة تاريخ الظواهر الفكرية والأيديولوجية بحاجته الأساسية للصحف كمصدر أول وخصوصاً صحف الرأي التي يتحدد انتمائها الفكري والسياسي منذ اللحظة الأولى

لظهورها إذا كان أساتذة التاريخ والمؤرخون يعتبرون الصحيفة مصدراً للمعلومات التاريخية أي جزء من المصادر الرئيسية أو الثانوية للدراسات التاريخية فإن الباحثين في تاريخ الصحافة يعتبرون الصحيفة وثيقة تاريخية لا غني عنها في الدراسات والبحوث التي تتناول تاريخ الصحافة (الصحف والصحفيون). علاوة علي استخدام الصحيفة كوثيقة تاريخية في جميع الدراسات التي تتناول نشأة وتطور الصحافة، سواء علي المستوي القومي والدولي.

والخلاصة: إن الصحيفة يمكن أن نستخدم كوثيقة تاريخية في حالة انتماء هذه الصحيفة تقوي اجتماعية وسياسية محددة وفي حالة التزامها ببرنامج فكري وأيديولوجي معلن أو سري، أما الصحف ذات الطابع التجاري والتي لا تلتزم بسياسة أو منهج محدد مثل الأهرام وأخبار اليوم (قبل ثورة ١٩٥٢) إذ يمكن الاستعانة بهما كمصادر أولية في كتابة تاريخ الصحافة المصرية

Scanned with CamScanner

الباب الرابع

المعوقات الحضارية

Scanned with CamScanner

المعوقات الحضارية والثقافية في سبيل مساهمات الصحيفة

تشكل الحضارة والتراث الثقافة أحد العوامل الديناميكية في تاريخ المجتمعات حيث تؤثر في مكونات المجتمع وعناصره تأثيرات مختلفة، ومن ثم تتولد عن ذلك صيغة حضارية جديدة. لأن تأثيرها يكون دائما تنظيماً إيجابيا. وعلي هذا يمكن القول بأن كل حضارة كاملة في مقوماتها وافية في وظائفها للمجتمع الذي يصنعها وتصنعه، هي في تبادل مستمر مع الحضارات الأخري، فالحضارة من طبيعتها ومن حيث وظائفها لا تختلف في أي مجتمع بشري عن الأخر، ذلك أن حاجة واحدة يمكن أن تتناولها حضارات مختلفة. ويمكن تلبية هذه الحاجة بأساليب وطرق مختلفة وبصورة متعددة، ولا شك أن الوظيفة الحضارية للفرد في المجتمع وسلوكه هي ابتكار وسائل لإشباع الحاجة الاجتماعية – والاقتصادية. علي أن الحضارة – وهي من تراث الإنسان – تختلف صورتها من مجتمع إلي آخر ، وأن لم تختلف في طبيعتها ووظيفتها باعتبارها وسيلة الإنسان للبقاء والنمو في أدنى

Scanned with CamScanner

صورهما، وهما دوافع تدفع الإنسان من أجل حاجات تتطلب الأشباع ، واختلافات هذه الحاجات هو الذي يؤدي إلي اختلاف المجتمعات واختلاف شكل التراث الحضاري والثقافي.

ولقد تبين من تحليل الظروف التقليدية للبيئة في المجتمعات النامية والتي تنشأ فيها هذه الحضارات أن هذه الظروف ليست إلا مجموعة من الظروف العامة التي تغلب علي هذه المجتمعات بالرغم من سعتها ولكنها تترك أثاراً أعمق علي هذه المناطق نظراً للنسبة العالية التي تمثلها هذه المجتمعات، مساحة ومكاناً إلي جانب عدد من الظروف الخاصة بكل بيئة علي حدة تزيد من حدة الظروف العامة وعمق تأثيرها، وينطوي كل مجتمع مهما كانت درجة تطوره – علي مجموعة من القيم والمعايير noumse & valnes التي تعتبر بمثابة القواعد العامة التي يفرق الشخص بمقتضاها بين الصواب والخطأ.

مقاييس التطور والتقدم:

علي أن دراسة الفرد كفرد لا تكفي – غالبا – لفهم ديناميكية التغيير وأنه ينبغي علي رجال الإعلام أن يدرسوا

Scanned with CamScanner

الجماعات والمجتمع وهي صورة أشد تعقيداً حتي بالنسبة لهدف أو نشاط واحد إلا أن أهم الجوانب دلالة وهي التي يجب أن يراعيها الإعلامي هي:-

أولا: التوقعات التي يتوقع الناس حدوثها وما الذي يتوقع أن يقوم به غيرهم من الناس وثانياً المسئوليات التي يفترض قيام بعض الأفراد بها.

وثالثا مواطن القوة أي ما الذي يستطيع أفراد بعينهم القيام به ويقدرون علي أدائه والرابع ما الذي يثبت أو يقيم العراقيل أو يزيلها وأخيراً مناطق النشاط أي ما الذي يحدث ومن الذي يقوم به . وهنا يمكن لرجال الأعلام أن يستفيدوا من المقاييس العامة لمستويات تفكير وميول ودرجة ثقافة أفراد المجتمع ولقد خرج علينا كل من روجرز وأخرين بمقاييس يمكن بها تحديد المستويات الثقافية والحضارية التي يقف عليها أفراد المجتمع ومن ثم تقييم الخطوات التي سار عليها المجتمع لتحقيق أهداف التنمية وقياس هذه الخطوات قياساً كمياً حتي لقد أصبح من السهل

Scanned with CamScanner

بعد تحليل المعايير التقليدية والمعـــايير العـــصرية – أن تحـ
الوضع الفكري الحقيقي للأفراد وهذه المقاييس هي:

أ) مقياس ليرنر:

وضع ليرنر مقياس العصرية والتقليدية وهو ما طبقه علي دراساته في الشرق الأوسط حيث حدد أسئلة تدور حول المسائل العامة. طالباً رأي أفراد البحث في هذه المسائل أو القضايا ولقـد ميز ليرنر ثلاث فئات وفقاً لاستجاباتهم علي أساس هذا المقيـاس وهم عصريون – تحوليون – تقليديون ويؤكد ليرنر أن الشخص العصري ينبغي أن تكون لديه القدرة علي التفاعـل مـع العـالم الخارجي وبالتالي يكون له رأي فيما يتعلق بالمسائل العامة.

ب) مقياس بنفينوتي:

ويتكون هذا المقياس من تحديد عشر قضايا عامة حـول ٤٨٤ مزارعاً في المجتمع الهولندي السريع التغير عن آرائهم في هذه القضايا العشر.

وضع الباحث درجات للتمتع براي حول قـضية معينـة سواء كان هذا الرأي صائباً أم غير صائب ومن ثم فـإن محـك

التجديد أو العصرية هنا هو مدي أندماج الفرد والتصاقة بقضايا المجتمع خارج حدود أو نطاق مجتمعة المحلي ولقد أجري اختيار أصدق مقياس بتنفيوتي بواسطة ٢٥ حكماً من الذين يعتقد أنهم متفتحون علي العالم أو عصريون فحقق صدقاً دالاً إلي حد كبير فبمقارنة تقديرات بنفنيوتي – التي يناها علي أساس الدرجات التي وضعها للرأي – بأراء المحكمين وجد أن هناك درجة عالية من الإتفاق.

ج) مقياس كوب:

طور هذا الباحث مقياسه هذا لقياس المسافة التي سار عليها الأفراد بين التقليدية والعصرية. وطبق هذا المقياس بين رعاة الماشية في ولاية كنساس الأمريكية حيث طرح عليهم الأسئلة حول محددات النجاح في الزراعة كما يرونها ثم صنف أفراد البحث إلي عصرى أو مرن وتقليدي أو جامد وكانت الاستجابة النمطية الشخص التقليدي هي العمل الشاق والارتباط التام بالأرض واستمرار العناية بها.

د) مقياس هوب:

Scanned with CamScanner

ويصنف هذا المقياس عينه مكونة من ٣١٥ مزارعاً من مزارعي ولاية أيوا الأمريكية تحت نمطين للعمل الموجه تقليدياً والعمل الموجه إدارياً.

وهنا نلاحظ أن هوب يركز علي العمل في حد ذاته باعتباره أحد الدلائل التي يمكن التعرف علي التقليدية عن طريقها.

وقد أوضحت نتائج تعليقات هذه المقاييس وغيرها علي المستوي الفردي أن هناك فروقاً بين الشخص العصري والشخص التقليدي فالأول أكثر استخداماً للتكنولوجيا كما أنه انفتاحاً علي العالم وأكثر منطقاً في التفكير الاقتصادي وأكثر قدرة علي تصور الأحداث وأرفع تعليماً كما أن الميل إلي التجديد يميزه عن غيره.

ولقد تأثر التراث الثقافي بشكل ملحوظ نتيجة الموجات الاستعمارية المتتالية التي زحفت إلي أكثر البلدان النامية وأدي دخول الرجل الأبيض – بثقافته وعادته وتراثه – إلي تزاوج الحضارة الأوربية المميزة مع بعض الحضارات المحلية المتنوعة التي تشكل المنهاج الفكري لكل مجتمع من هذه

المجتمعات التقليدية. ونتج عن هذا وجود أنماط جديدة من الثقافات التي سادت المدن علي سبيل المثال سياسة ثقافية تعليمية مختلفة ففي هذه البلاد الأفريقية والأسيوية. ففرنسا كانت تهدف إلي تخريج فرنسيين من أبناء المستعمرات في أفريقيا وأسيا يدنيون كلية بالولاء للحضارة والثقافة الفرنسية ولذلك فرضت فرنسا لغتها علي جميع الأطفال في أفريقيا وآسيا منذ بداية دخولهم المدارس وفي سنة ١٩٠٣ وضعت فرنسا سياستها التعليمية في مستعمرتها علي أساس تدريس نفس المناهج التي كانت تدرس في فرنسا ذاتها، دون مراعاة لطبيعة احتياجات الواقع في البلاد النامية التي كانت تحتلها.

وقد ركزت علي فلسفة الاستيعاب الثقافي وبذلك قررت ونشرت التعليم الأولي في هذه الدول مع مراعاة مجموعات صغيرة من النخبة المتعلمة والسماح لها بأكمال دراستها العليا. وفي مؤتمر برازفيل عام ١٩٤٤ أقرت السلطات الفرنسية بعض التعديلات علي نظامها التعليمي، يمن تخليصها في تدريس اللغة الفرنسية وأساليب الحياة الفرنسية للقطاعات الشعبية في

Scanned with CamScanner

مستعمراتها أو تدريب النخبة المتعلمة والحاقها بالوظائف الإدارية الفرعية التابعة للإدارة العليا في فرنسا – وتدريب الأكفاء منهم والسماح لهم بأكمال دراستهم الأكاديمية في فرنسا – وتكييف مناهج التعليم الأولي طبقاً لاحتياجات المستعمرات الخاضعة لها – وتوفير الدراسة في المدارس الثانوية والفنية في المستعمرات بما يوازي مستوي التعليم في المدارس المماثلة بفرنسا.

وتؤكد هذه التعديلات مدي أصرار الفرنسيين علي غرس الثقافة الفرنسية في البلاد التي أحتلتها فرنسا بشتي الوسائل، يوضح ما أتسمت به هذه القرارات، إلي أنه كان هناك فلسفة في تنفيذها أما السياسية التعليمية والثقافية لبريطانيا في الدول التي أحتلتها وبصفة خاصة الدول الأفريقية فقد أفتقدت الخلفية الفلسفية التي أتسمت بها السياسة الفرنسية، إذ كانت تهدف إلي تدريب أهالي المستعمرات وتأهلهم للحكم الذاتي فيما بعد.

وفي سنة ١٩٢٥ أصدرت اللجنة الاستشارية للتعليم في المستعمرات بياناً مضمونة " أن التعليم يجب تكييفه وفقاً للاحتياجات المحلية وأوصي التقرير باستخدام اللغات المحلية في

التعليم وتشجيع التعليم الفني والحرفي والسماح للفتيات بتلقي دورات تعليمية كما أشار التقرير إلي الدور الهام الذي يلعبه التعليم الديني وهنا يبدو تأثير البعثات التبشيرية وسيطرتها علي النظام التعليمي البريطاني حيث كانت تهدف – في الأساس – إلي تحويل أهالي المستعمرات إلي الديانة المسيحية.

أما أسبانيا وبلجيكا والبرتغال فقد مارس كل منه سياسة مطلقة قامت علي محاولة غرس ثقافتها ولغاتها وديانتها بشكل قهري مصحوباً بكل أساليب القهر السياسي والثقافي. وكانت المستعمرات – في نظر هؤلاء محكوماً عليها بالخضوع الأبدي للأوربيين.

ولا شك أن نظم التعليم الغربية أحدثت خللا في أسس التعليم التقليدي الذي كان سائداً في أفريقيا وأسيا والذي كان يحرص علي تزويد الأهالي بالمهارات والثقافات التي تنمي انتمائهم إلي مجمعتهم، مما كان يساعدهم. علي فهم احتياجات مجتمعهم والقيام بدورهم بكفاءة من أجل استمرار هذا المجتمع، بينما جاء التعليم الغربي كي يحصر الإنسان في مناهج دراسية.

Scanned with CamScanner

وبرامج ثقافية ليس لها علاقات بالمجتمعات النامية أو تراثها الحضاري أو احتياجاتها. وقد ظل التعليم في هذه الدول حتى حصولها علي الاستقلال يعمل علي تأهيل الأهالي للوظائف وتزويدهم بالتقاليد والعادات وأساليب الحياة الغربية.

وقد نجحت هذه السياسة في تكوين قطاع عريض من الموظفين والكتبة الذين كانوا شاغلين الحلقات الدنيا من الجهاز الإداري. وظل هذا الوضع سائداً طوال مراحل الاحتلال وحتى الحرب العظمي الثانية. ولم تتشكل فئة الموظفين في هذه البلاد بصورة أساسية، إلا بعد الحرب، ويعود ذلك- من ناحية - إلي نمو الحركات الوطنية وقدرتها علي إجبار السلطات الأجنبية علي إجراء تنازلات في عديد من المسائل من ضمنها تكوين كوادر وطنية.

ومن ناحية أخري فإن توقع المستعمرين لمغادرتهم الحتمية لهذه البلاد دفعهم إلي أعداد نخبة مختارة محلية موالية لهم باستطاعتهم تسليم الحكم لها.

Scanned with CamScanner

وتجدر الإشارة بصفة خاصة إلي دور الفئات الأخرى من المثقفين وخصوصاً رجال الصحافة الذين أزداد عـددهم وقـوى دورهم الاجتماعي أثناء مرحلة النضال كأداة تعبير رئيسية عـن حركات التحرر الوطني من ناحية وكوسيلة للتوعيـة والتربيـة السياسية والثقافية للجماهير من ناحية أخري وقد لعبت الصحافة بشكل خاص دورا هاماً في أضفاء أهميـة اجتماعيـة وسياسـية وثقافية علي الصحفيين أنفسهم دون الفئات الأخري. والصحفيون بحكم أتصالاتهم المتعددة ومواكبتهم للأحداث واقترابهم من الرأي العام كل ذلك جعلهم أكثر قدرة من غيرهم في التأثير علي الرأي العام والتعبير عنه وقد لعب الصحفيون – وخاصة الأفريقيون – أدواراً وطنية تعود إلي بداية نشوء التنظيمات الوطنية الأولي في الدول النامية في بداية القرن العشرين. وكانوا يمثلون العنـصر الأكثر نشاطاً لطليعة المثقفين الوطنيين إذا كانوا يشغلون مكـان الصدارة وسط ما يعرف باسم سياسي المقاهي.

ففي هذا النوع من الأندية السياسية وفي أدارات الصحف تكونت أنشط كوادر الحركات الوطنية السياسية والثقافية.

Scanned with CamScanner

ويقرر جون ك. ل وصول المثقفين إلي رئاسة الحركات الوطنية يرجع إلي تميزهم عن الفئات الأخري بسبب انفصالهم عن الإطارات الطبقية القاسية للمجتمع القديم، ولكنهم يحملون مثل المجتمع المقبل، ولأنهم كمثقفين يتقنون صناعة الكلمة المطبوعة والشفهية فضلاً عما يتمتعون به عن سواهم من الفئات الاجتماعية الأخري من الإمكانات، مما يمنحهم فرصة المشاركة في العمل السياسي، كما أنهم لا يتقيدون بالقيود الوظيفية المفروضة علي فئة الموظفين، وقد لاحظ العالم الهولندي لينبرج – علي سبيل المثال – أن الموظفين كانوا دوما أكثر محافظة بالمقارنة مع الصحفيين هذا وقد لعب المثقفون في الدول النامية دوراً قيادياً في مرحلة التحرر الوطني، سواء الذين كانوا يمثلون أوساطاً بورجوازية إصلاحية، وكانوا في أحسن الأحوال يهدفون إلي تحقيق تسويات مع السلطات الأجنبية أو الذين تميزوا بالأسلوب الراديكالي في مواجهة هذه السلطات مما ساعدهم علي الحصول علي الاستقلال والسيادة الوطنية وقد كان الحصول علي الاستقلال الوطني نذيراً يحمل بعض التغييرات الجوهرية التي طرأت علي موقع المثقفين وأدوارهم، فعلاوة علي الانقسمات

التي حدثت في صفوف المثقفين إذا تبني بعضهم فكر ومصالح الجماهير بينما أنصرف البعض الأخر عن موقع الريادة. يأسا من الأوضاع التي نشأت بعد جلاء الأوربيين. هذا في الوقت الذي تعلق فيه الفريق الثالث بالحكومات الجديدة كناطقين باسمها أو مبررين لسياستها.

وكانت هذه المرحلة لا تحتاج بالدرجة الأولي إلي دعاة سياسيين وخطباء بقدر حاجتها إلي مهندسين وأطباء وخبراء فنيين في شتي المجالات.

ولم يكن ذلك يعني انتهاء دور المثقفين والصحفيين بقدر ما يعني التغير في نوعية هذا الدور إذ بدأ دورهم في التراجع كطليعة سياسية، وفتحت أمامهم أمكانات وآفاق جديدة لم تكن موجودة أصلاً في مرحلة ما قبل الاستقلال، وبدأت أمام المثقفين والصحفيين مهمة أعادة بناء الثقافة الوطنية وبعث الجوانب الإيجابية في التراث الثقافي.وكذلك طرأ تغيير شبه جذري علي دور الصحافة في مرحلة بناء الدولة الوطنية الناشئة إذ يفقد

Scanned with CamScanner

النشاط الصحفي والدعائي أهميته السابقة وتتغير طبيعة المهام التي كانت تقوم بها الصحافة أثناء مرحلة التحرر الوطني.

وهنا يبدأ جزء غير قليل من المثقفين – وخاصة أولئك الذين ساهموا بنشاط في النضال الوطني – في اتخاذ مواقف المعارضة للسلطة السياسية القائمة التي تطلب منهم المساندة وتأييد خططها وسياستها.

والواقع أن الدور لقيادي للمثقفين في مرحلة التحرر الوطني ذو طابع مؤقت ومحدود تاريخياً ويظل هذا الدور ممكنا طالما هناك ضرورة موضوعية تفرضها أوضاع الدول النامية، التحرر من السيطرة الأجنبية، ولكنها في سياق تحول هذه المجتمعات إلي الطور الحديث العصري تتطلع إلي التصنيع وأعادة البناء من خلال برامج طموحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهنا يتغير موقع ودور المثقفين، وبصفة خاصة الصحفيين منهم، وتفرض عليهم المرحلة الجديدة مسئوليات ومهام جديدة. ويظهر أشخاص آخرون يتولون العمل

للمساعدة علي تحقيق هذه الطموحات وهؤلاء هم رجال الإعلام من الصحفيين والكتاب.

ولقد أجري روجرز دراسة علي دور الصحف اليومية في كولومبيا كدولة مرت بنفس الظروف التي مرت وتمر بها الدول المستقلة حديثاً، وتحتاج إلي تعبئة الجهود من أجل الانتقال إلي مرحلة أكثر تطوراً و وعصرية وكان مجال الدراسة خمس قري، وهي عينات تقع في الريف حيث الصحف اليومية والمجلات الأخري تقيدها الكلمة المطبوعة. وصعوبة انتقالها عبر البيئة الريفية وعبر عقول سكان هذه البيئة – بينما وسائل الإعلام الأخرى كالراديو مثلا – تواجهها قيود أخف وتعقيدات أبسط وتأسست دراسة روجرز هذه علي افتراضين أساسين، أولهما أن تعرض السكان في ريف الدول النامية لوسائل الاتصال الجماهيري يؤدي إلي تمهيد السبيل أمام عدد كبير منهم للتحضر، والافتراض الثاني أن صفات السكان وثقافتهم هي التي تحدد – جزئياً درجة تعرضهم لهذه الوسائل، وتتلخص هذه الصفات في

Scanned with CamScanner

مستوي التعليم والمركز الاجتماعي والمستوي الاقتصادي والانفتاح علي ما هو خارج القرية.

وحدد روجرز هنا حدوداً لحدوث التحضر تتمثل في أربعة مجالات رئيسية هي أتخاذ مواقف جديدة – وتطبيق الأفكار الجديدة – وإكتساب معرفة سياسية أوسع – وجود القدرة علي التصور. وانتهي روجرز من دراسته بالوصول إلي عدة نتائج هامة لكدت وود علاقة بين درجة التعرض لوسائل الإعلام وحدوث التقدم في هذه المجالات الأربع للتحضر، وأكدت – أيضاً – أن الصحف والدوريات الأخري كوسيلة مطبوعة هي أقل وسائل الإعلام. تأثيراً نظراً لظروف الأمية وانتشارها، وأن مساهمتها في التأثير تنحصر في أولئك الذين نالوا قسطا من التعليم ويعني ذلك أن قدرة وسائل الإعلام الجماهيري وخاصة الوسائل المكتوبة كالصحيفة اليومية والدوريات الأخري تتأثر بشدة بظروف هذه المجتمعات، حيث أن انتشار الأمية فيها يعمل كمعوق يؤدي إلي انحسار تأثير الصحيفة، واقتصار التعرض لها علي فئة المتعلمين فقط.

Scanned with CamScanner

ولقد ظهر في الأونة الأخيرة بعض الآراء التي تري أن الدول النامية في هذه المرحلة وبصفة خاصة التي تأخذ بالنهج الاشتراكي (إلي النهج اليساري) هي التي ترعي وسائل الإعلام وتحميها وتسهر علي مصالحها، وفي مقدمتها الصحيفة اليومية. أما الدول الأخري – التي لا تأخذ بالنهج الاشتراكي – فلا تري وسائل الإعلام، فتري الدكتورة/ ناهد صالح. بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن الدول التي لا تأخذ بالنهج الاشتراكي تعطي سياستها أهمية كبري لتعليم الصغار ومحو الأمية للكبار وفي نفس الوقت تعطي أهمية ضئيلة لوسائل الإعلام وفي الوقت الذي تنكر فيه النخبة الحاكمة التأثيرات البناءة نجدها تبرز التأثيرات الهدامة وتعطيها شكل الانحراف أو الفوضي أو الثورة. بينما الدول النامية التي تأخذ بالنهج الاشتراكي تضفي أهمية خاصة علي وسائل الإعلام وتقتنع بالدور. الإيجابي الفعال لهذه الوسائل في التنمية القومية الاقتصادية والاجتماعية، وتحرص علي عدم التضييق علي وسائل الإعلام التي تعكس أيديولوجياتها وخطها السياسي، وتقف من الوسائل الإعلامية المخالفة لهذا الخط موقفاً حاداً يحول دون

Scanned with CamScanner

وصولها إلي الجماهير وهذا ما يحدث في المدن الكبرى، ناهيك عن المناطق النائية، ومجمل القول أن هذه الدول وحكوماتها تنظر إلي الإعلام كأداة جوهرية لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ومن الضروري – من وجهة نظرها – أن تخضع هذه الأداة لضبط الدولة وتخطيطها وتوجيهها. علي أننا نري أن هذه الأداة نري أن هذا الأسلوب الأعلامي الموجه أو المخطط التي تأخذ به بعض الدول، يكون فيه تحديد لحرية الصحيفة والقائمين عليها، فالأفكار – المستحدثة لتنمية وتطور المجتمعات سوف تكون مرهونة ومحدودة بأفكار واتجاهات وثقافات واضعي اللوائح والقوانين التي تحد من حرية الصحيفة، والتي تأخذ شكل التنظيم والتوجيه.

علي أن الأسلوب الحقيقي هو ترك الحرية للصحفي ليكتب ما يشاء أنطلاقاً من ضميره ومسئوليته تجاه وطنه ومجتمعه الذي يحتاج إلي فكرة وتوجيهه، وتكون وظيفة الحكومة حينئذ هي

Scanned with CamScanner

تطبيق القوانين بعقاب المخطئ ومنعه من التعدي علي حقوق المجتمع من خلال قلمه.

وتحت النظرية الأخيرة يندرج الأسلوب الإعلامي المتبع في أغلبية الدول النامية، علي أن نقطة الخلاف بيننا وبين أصحاب هذا الرأي، ليست في أننا نريد سلب جهاز الإدارة سلطاته في حماية المجتمع وأشرافه علي كل ما يجري بين أفراده وليس في أننا نريد أعطاء كل الحرية الصحفي ليكتب ما يشاء ويترك له الحبل علي الغارب استناداً إلي ضميره، وإخلاصه لمجتمعه ورسالته، فهذا بالتأكد سوف يؤدي – إذ حدث – إلي الفوضي نظراً لوجود تيارات عديدة متصارعة من كافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. كما أن مسألة الضمير والإخلاص لا يمكن التأكد منها تماماً، ولكن نقطة الخلاف هي في أن أصحاب هذا الرأي يرون أن الأسلوب المتبع في الدول التي يقال عنها الدول الاشتراكية وإجراءاتها المختلفة مثل التنظيم والتوجيه أو الإشراف والرقابة.. إلخ، هي إجراءات تبررها نظرية المسئولية الاجتماعية في الأعلام. أما نحن فنري

Scanned with CamScanner

أن المسئولية الاجتماعية تنبع من الصحفي نفسه ولا تبرر هذه المسئولية أية إجراءات تقوم بها الإدارة.

ولقد أخذت الحكومات التي تتبع أسلوب التوجيه الإعلامي المركزي والسيطرة علي وسائل الإعلام باعتبارها أحدى وسائل الحكومة لسياسة الأمور العامة، بهذه النظرية ونادت بها دون باقي النظريات الإعلامية الأخري، لسبب هام هو أنها أقرب النظريات العلمية لتحقيق أهداف السلطات في الدول التي تأخذ بالنهج اليساري، وهي – أيضا – النظرية التي يعلق علي شماعتها طغيان وجبروت الكثير من الحكومات اليسارية ومحاولتها السيطرة علي أدوات الإعلام الجماهيري.

والواضح أن هذا الرأي الذي يقول به البعض ومنهم الدكتوره ناهد وغيرها هو رأي يعبر عن اتجاه سياسي واضح قبل أن يعبر عن حقيقة علمية موضوعية، فنظرية المسئولية الاجتماعية موجودة، وإذا طبقت فإن الصحفيين يأخذون بها ويقيدون بها أنفسهم تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه في عدد غير قليل من الدول التي تأخذ بأسلوب التوجيه المركزي لوسائل

Scanned with CamScanner

الإعلام ومعني ذلك أن التأمين والإشراف والسيطرة الحكومية علي دور الصحف والإذاعة – في نظر أصحاب هذا الرأي – تعني الاهتمام والرعاية والعناية، وبذلك فإن الدول غير الاشتراكية تعطي أهمية ضئيلة لوسائل الإعلام.

ومن ناحية أخري أن نظرية المسئولية الاجتماعية في الإعلام تعني مسئولية الأفراد – ممن يحملون لواء الرأي ويقومون بالعمل الإعلامي وليس خضوعهم لقوانين ولوائح وتنظيمات من قبل الإدارة بحجة المحافظة علي الأمن والنظام العام لمجتمع أو ترابطه وتماسكه وعلي آدابه العامة.

ولا تعني بحرية الصحفي أو الصحيفة أن أي إنسان كامل الأهلية له الحق في نشر وإصدار صحيفة، أو أن هذه الصحيفة يجب أن تتحرر من كافة العوائق ومحاولات التأثير في الاتجاه العكس وذلك من أجل أن تتمكن من أداء رسالتها علي الوجه الأكمل في عرض الأنباء والتعليقات والآراء والتوجيهات والشروح والانتقادات العامة لسياسة الإدارة المتجاوزة، وكذلك لا تعني بحرية الصحافة انعدام الرقابة وحرية جميع الأطراف في

إصدار أي جريدة أو مطبوعة طالما أن أيا منهم يرغب في ذلك، أو يري أن مصلحته أو مصلحة جماعته في إصدار مثل هذه الجريدة، لأن حرية الصحافة وفق هذا المفهوم تنحصر في حرية الأغنياء والقادرين علي إصدار الصحيفة وحرمان غير القادرين من الفئات الأخري، والذي تراه في مفهوم حرية الصحافة هو مسئوليتها تجاه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع واقناعها بأن هذه المسئولية هي رسالة سامية تؤديها تجاه المجتمع.

وانطلاقا من هذا المبدأ تمارس حريتها، ومن ثم تصبح الصحافة سلاحاً من أسلحة المجتمع في حربه ضد أفاته الاجتماعية والاقتصادية وتحقيق الأمال المعقودة من وراء التنمية. وهذا النمط من الحرية هو الذي تأخذ به النظم السياسية ذات المذهب المعتدل الذي يرفض اليسار المتطرف أو اليمين المتطرف، حيث يمارس لصحفي واجباته ويؤديها تحت ظل نظرية المسئولية الاجتماعية فعلاً.

Scanned with CamScanner

والجدير بالذكر أن النظم السياسية اليسارية تأخذ هذا المفهوم – أي مفهوم المسئولية الاجتماعية – بمعنى آخر، فهي تأخذ بنظرية المسئولية الاجتماعية في الصحافة، ولكن هذا المفهوم يأخذ – عند التنفيذ – منظوراً آخر لأن الاهتمام ليس أساساً بحرية الصحفي أو الصحيفة، ولكن الاهتمام هو مسئولية الصحفي أو الصحفية تجاه الأهداف العامة للمجتمع، ومعنى ذلك أن المسئولية تكون أمام القانون بتحقيق هذه الأهداف العامة، من كبار رجال الدولة أو الحزب وليس أمام المجتمع نفسه، وأساس هذا في نظر رجال السياسة علي النمط اليساري، أن أفراد المجتمع من عامة الشعب، لا يعرفون أين تكون مصالحهم وأهدافهم الحقيقية، وهم ليسوا مؤهلين لذلك، والذين يتولون تحقيق هذه الأهداف العامة نيابة عنهم، هم كبار رجال الدولة أو الحزب. ومن هنا جاء الإنحراف في تطبيق نظرية المسئولية والاجتماعية أصبحت واجبات الصحفي وجريدته في ظل هذه النظرية تتلخص في حماية مصالح هذه الفئة من رجال الحكومة أو الحزب الحاكم. واستناداً إلي هذا المفهوم ابتعدت الصحيفة وأهدافها عن مسئولية المساعدة في تحقيق الأماني القومية والأمال المنتظرة

Scanned with CamScanner

من التنمية في مضمونها الاجتماعي والاقتصادي ولـذلك كـ دورها دون فاعلية أو جدوي.

والهدف من وراء ذلك هو البحث عن حرية الصحيفة على الساحة الريفية في الدول النامية وفي مصر، وهي خطة أولي في سبيل القيام بدورها المنتظر. ومن الـضروري تـوفير المنـاخ المناسب الذي يتمثل في جانبين هـامين همـا وصـول المـادة الصحفية نفسها إلي عقول أهل المجتمع الريفي وأن تكون المـادة مفيدة تهدف إلي المساعدة في تحقيق الأهداف العامة وتوضـيحها وتسهيل فهمها لدي الجماهير دون صعوبات تقف في طريقهـا أو مشكلات تتولد عنها.

ومن الناحية العملية فإن حرية الـصحيفة فـي ممارسـة واجباتها تجاه أفراد المجتمع، يجب أن تحـدد طبقـاً للظـروف الخاصة بكل مجتمع مع مراعاة تراثـه الحـضاري وأوضـاعه السياسية والاقتصادية وبنيته الثقافية ونظامه القيمي، ومـن هنـا يصبح من العسير أن ننتظر من الـصحيفة أن تـؤدي رسـالتها وتحقق أهدافها بمعزل عن الأوضاع الإنسانية في أي دولـة لأن

المستوي الذي تبلغه الصحيفة هو جزء مكمل لإطار المسئوليات الأخري ومدي احترامها، ويجب أن نعي أن رسالة الصحيفة بمفهومها المثالي لم تتحقق حتي في الدول الغربية. والمعروف أن أكثر الصحف نجاحاً في الدول المتقدمة هي الصحف المحافظة بصفة عامة والتي لا تتعرض بالنقد لأسس النظام السياسي القائم، وهذا ما يتعلق بالاتجاه الأيديولوجي لسياسة الحكومة ودوره- بصفة عامة – كمعوق يقف في سبيل الصحيفة اليومية.

Scanned with CamScanner

نشأة وتطور صحافة المرأة[١]:

دور محرر شئون المرأة في الصحف دور مؤثر وهام للغاية، فهو لا يتعامل مع نصف المجتمع، وإنما يتعامل مع الأسرة، أي مع المجتمع كله، وحتى وإن تعامل مع المرأة وحدها، فالمرأة هي الأم والزوجة والابنة والأخت، وهي صانعة الأجيال.

ومن هنا تأتي أهمية إعداد المحرر أو المحررة التي تقوم بالعمل في صفحات المرأة والأسرة بالصحف العامة اليومية والأسبوعية، أو بالمجلات الخاصة بالمرأة والأسرة.

مفهوم الصحافة النسائية:

الصحافة النسائية هي التي تعالج قضايا المرأة ومشكلاتها وشئونها، حتى لو عمل بها أو أصدرها رجال، وليست هي الصحافة التي تملكها أو تعمل بها نساء وتعالج الأمور العامة.

وصحافة الأسرة هي امتداد للصحافة النسائية تكون المرأة هي عماد الأسرة، أي أن صحافة الأسرة هي الصحافة التي تعالج

---

[١] مرجع سابق، ص ١١٧-١٢٢.

شئون الأسرة وقضاياها سواء عمل في هذه الصحافة رجال أو نساء.

ويتسع مفهوم الصحافة النسائية ليشمل صفحات المرأة في الجرائد اليومية والمجلات العامة الأسبوعية والشهرية.

وعلي هذا الأساس نتناول في هذا الفصل صفحات ومصادر ومقومات محرر شئون المرأة والأسرة سواء أكان رجلاً أم امرأة وتحرير الموضوعات الخاصة بالمرأة أو الأسرة.

تاريخ الصحافة النسائية في الوطن العربي:

تاريخ صحافة المرأة والأسرة العربية تاريخ طويل وحافل يعود إلي سنة ١٨٩٣ عندما أصدرت "هند نوفل" مجلة " الفتاة" بمدينة الإسكندرية لتكون باكورة مجلات المرأة العربية، ولتكون لمصر الريادة في هذا المجال، ثم تبع "هند" سيدات أخريات أصدرن دوريات نسائية حاولت جاهدة دفع المرأة العربية علي طريق التقدم والمعرفة.

Scanned with CamScanner

وتبعت مصر في هذا الميدان دول عربية متعددة يأتي في مقدمتها لبنان، فكانت أول مجلة نسائية لبنانية هي مجلة "الحسناء" أصدرها جرجي نقولاً باز " سنة ١٩٠٩".

وكانت سورية هي ثالث بلد عربي يعرف الصحافة النسائية، حيث صدرت بها سنة ١٩١٠م، مجلة "العروس" أصدرتها " ماري عبده عجمي" وبعد ذلك تأتي العراق، حيث أصدرت " بولينا حسون " مجلة " ليلي" في الخامس من أكتوبر ١٩٣٣م. وفي تونس تصدر مجلة بنفس الاسم سنة ١٩٣٦م. والدولة العربية السادسة من حيث نشأة صحافة المرأة هي " السودان" ففي سنة ١٩٤٦م أصدرت "تاكوي سركسيان" مجلة " بنت الوادي".

وعرفت الأردن الصحافة النسائية سنة ١٩٥٠م عندما صدرت فيها مجلة " فتاة الغد" في يونيو من نفس العام.

وكانت الكويت هي الدولة الخليجية الأولي التي صدرت فيها مجلة نسائية وهي "مجلة أسرتي" في ٨ فبراير ١٩٦٥م. تلتها دولة الإمارات عندما صدرت مجلة " العهد الجديد" سنة

Scanned with CamScanner

١٩٧٣ ولكنها لم تكن منتظمة، ثم صدرت زهرة الخليج سنة ١٩٧٩م.

وفي سلطنة عمان صدرت مجلة " الأسرة" في ١٥ أغسطس ١٩٧٤م، وعرفت قطر الصحافة النسائية سنة ١٩٧٩م عندما صدرت مجلة الجوهرة.

وفي اليمن كانت مجلة نساء اليمن التي صدرت سنة ١٩٨٢ أول مطبوعة نسائية.

أما في منطقة المغرب العربي، فبعد تونس عرفت ليبيا الصحافة النسائية سنة ١٩٦٤م، عندما صدرت مجلة المرأة، وكانت الجزائرية أول مجلة نسائية تصدر بالجزائر سنة ١٩٧٠، وفي نفس العام صدرت بالمغرب مجلة عائشة[١].

أما المجلات النسائية الموجودة حالياً: ففي مصر تصدر مجلة حواء عن دار الهلال منذ ١٤ يناير ١٩٥٥، ومجلة نصف الدنيا التي تصدر عن مؤسسة الأهرام منذ ١٨ فبراير ١٩٩٠.

Scanned with CamScanner

ومن مجلات المرأة السعودية: مجلة سيدتي التي صدر عددها الأول في لندن يوم الأثنين ١١ مارس ١٩٨١. "وعالم حواء" التي صدر عددها الأول في مايو ١٩٩١، ومجلة الشقائق ذات الاتجاه الإسلامي التي صدر العدد الأول منها في يناير ١٩٩٦، إضافة إلي مجلة الشرقية التي صدرت في يناير ١٩٧٤، ومجلة هي الشهرية الصادرة في أغسطس ١٩٩٢، ومجلة الجميلة التي صدر العدد الأول منها في أكتوبر ١٩٩٤م.

وفي الإمارات العربية المتحدة توجد إضافة إلي مجلة زهرة الخليج مجلة كل الأسرة التي صدر عددها الأول في أكتوبر ١٩٩٣م، وقد سبقتها مجلة درة الإمارات في أكتوبر ١٩٨٩م.

الصحف المصرية وموضوعات المرأة:

ظهرت صفحة المرأة في الصحافة المصرية، قبل ظهور الصحافة النسائية بعشر سنوات، فقد تضمنت مجلة المقتطف ركناً نسائياً منذ بداية سنتها السابعة (١٨٨٢م) أطلقت عليه باب تدبير المنزل.

Scanned with CamScanner

وفي سنة ١٨٩٩ خصصت مجلة الجامعة لصاحبها فرح أنطون صفحة نسائية بعنوان تدبير المنزل ثم تغير أسمها إلي شئون نسائية وكانت تحررها شقيقته روز أنطون.

وكذلك فعلت مجلة الهلال التي أصدرها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ كما خصصت مجلة الجديد التي أصدرها محمود عزمي سنة ١٩٢٥ صفحة نسائية بعنوان نسائيات.

وفي سنة ١٩٢٦ خصصت جريدة السياسة الأسبوعية قسماً نسائياً بها، أطلقت عليه القسم الاجتماعي وكانت تحرره مي زيادة، واشترك في تحريره حافظ محمود ، ابتهاج قدورة، محمود زكي عبد الفتاح ، محمد شوقي، وأحمد الصاوي محمد.

وكانت نبوية موسي تحرر الصفحة النسائية بجريدة البلاغ – التي أصدرها عبد القادر حمزة في ٢٨ يناير ١٩٢٣، وكان عنوان الصفحة " صفحة السيدات".

وتوالت بعد ذلك الصفحات النسوية في الصحف المصرية لخروج المرأة إلي ميادين العمل المختلفة، فخصصت المصور

Scanned with CamScanner

والمصري والأهرام وأخبار اليوم والجمهورية صفحات خاصة بالمرأة.

انتقادات:

خرجت الدراسات العلمية التي أجريت علي صحافة المرأة بمجموعة من الانتقادات منها:

١- التركيز علي الشرائح العليا في المجتمع من المتعلمات ونساء المدن الكبرى، وسيدات المجتمع المرفهات، في وقت يتم فيه تهميش وتجاهل قطاعات نسائية كبيرة، وهن النساء في الريف والبادية والنساء العاملات في المهن المختلفة.

٢- عدم التعبير عن الهموم والمشكلات الواقعية للمرأة والأسرة العربية.

٣- غلبه السطحية علي نسبة غير قليلة من المضامين التي تطرحها صفحات المرأة والأسرة، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الهامة التي تمس الواقع الفعلي المرأة والأسرة العربية.

Scanned with CamScanner

٤- غياب الروابط الفعلية بين القائمين علـــي تحريـر هذه الصفحات وبين قرائها الحقيقيين من النـساء والـشباب والأطفال، نظراً للفجوة الهائلة التي تفصل بين المحررين والكتاب وبين جمهورهم وعدم تقدير المعانـــاة الحقيقيـة لمشاكلهم.

٥- التركيز – والاهتمام – علي القضايا التقليديـــة للمـــرأة، والتي تتضمن الأزياء والطهي والأكلات والـــديكور، أي أنها تتعامل مع المرأة علي أنها أنثي فقـــط، ولـــم تهـتم بالنواحي العقلية واحتياجاتها وأدوارهـــا الأخـــري فـــي المجتمع.

٦- طرح قضايا لا تتعلق بمشكلات وقضايا المرأة والأســـرة العربية الحقيقية، مثل رعاية القطط والكـــلاب وطيـــور الزينة وغيرها من الأمور الهامشية.

٧- التركيز علي تغطية أخبار المشاهير من الفنانات وسيدات المجتمع وعدم القيام بدور إعلامي ملموس يخدم ويلبـــي الاحتياجات النسائية والأسرية المختلفة.

Scanned with CamScanner

٨- غياب الجانب التنموي في المعالجات الصحفية، واتسامه بالندرة والسطحية إن وجد، فمن النادر أن تهتم هذه الصفحات والمجلات بتنمية المرأة وتدريبها وثقافتها.

٩- أتسمت المعالجات الصحفية بالسطحية والسرعة وعدم الدقة في استكمال العناصر الفنية في التحرير الصحفي لها.

١٠- سطحية المادة المقدمة للطفل المصري والعربي وقصورها عن تلبية احتياجاته.

١١- طرح نماذج من الأزياء والديكور لا تتناسب إطلاقاً مع المرأة المصرية والعربية[١].

Scanned with CamScanner

وكانت الوكالة قد بدأت في انشاء مكاتب خارجية لها في بعض عواصم الوطن العربي يعمل فيها مصريون لجلب أنباء تلك الدول وتوزيع أنباء الدول المصرية على صحف ووكالات أنباء هذه الدول التي عملت على الاشتراك في واسع نشاط هذه الوكالة بعد أن أصبحت تحت إدارة القطاع العام لما أمدت الدولة بالمعونة المادية ولما ماجات به مصر والدول العربية من تطورات سياسية غير أن نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ وماتنتج عنها من تكبات ألمت بالوكالة وبغيرها من مظاهر الحياة بمصر، إذ مالبثت أن تدهورت أعمال الوكالة وخرجت على أنقاضها وكالة أطلق عليها «وكالة الصحافة العربية المتحدة» وأصبح يرمز لها «ص.ع.م» بدلا من ش أ.ش وأشرف عليها رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام الصحفية كما أنضم اليها دار أخبار اليوم ودار المعارف للطبع والنشر.

غير أن المسئولين عن هذا العمل قرروا أنه من الأجدى تدعيم الوكالة الأم أ.ش.أ. بدلا من انشاء وكالة جديدة بعد ان وضح مدى اهمية الدور القومي الذي تقوم به هذه الوكالة المحلية والتي تنتمي لدولة في نضال وتحدى اقليمي عام ولانها أصبحت الواجهة الاعلامية لنقل أنباء مصر إلى الخارج والصوت الرسمي لجمهورية مصر العربية، ومن هنا أعدت الدولة تنظيما جديدا تعمل الوكالة في ظله منذ صدور قانون ١٩٧١م تبعت بمقتضاه الوكالة لاتحاد الاذاعة والتلفزيون المصري ثم تخضع حاليا لاشراف المجلس الأعلى للصحافة.

أهداف وكالة أنباء الشرق الأوسط ومياادين عملها:-

مثلها كباقي الوكالات والمؤسسات الاعلامية الأخرى تقوم لتؤدي وظائف اعلامية وأرباح مادية وخدمات سياسية وقومية للبلاد التي تصدر فيها فضلا عن فتح باب العمل الفني للمتخصصين في علم الصحافة واكسابهم خبرات عالية في هذا المجال الهام الحساس، هذا فضلا عن ربط العالم معا من خلال اذاعة أحداث حال وقوعها، ويتلخص نظام العمل في أنها أي الوكالة:

بالنار، وما كاد النهار ينتصف حتي أخذت الحرائق تشتعل في كثير من الأماكن العامة في القاهرة، وفي المساء تحولت المدينة إلي شعلة من النيران، بعد أن أفلت زمام الأمر من يد رجال الأمن، الذي قيل أنهم أنضموا إلي المتظاهرين، أو أنهم عملوا علي حماية العناصر التي قامت بأعمال التدمير والتخريب.

وانتهت هذه الأحداث المؤسفة بإقالة النحاس باشا، ليأتي علي ماهر باشا علي رأس وزارة جديدة دارت – هي الأخري – في حلقة المفاوضات المفرغة مع الإنجليز حول مسألة الجلاء، واستمرت الأحوال تتدهور وتسير من سيئ إلي أسوأ، حتي اضطر علي ماهر باشا إلي الاستقالة، وتولي نجيب الهلالي باشا رئاسة الوزارة في أول مارس.

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ جاءت الثورة لتسدل الستار علي عهد بأكمله، وتم توقيع أتفاقية الجلاء يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، وكتب مصطفي أمين :" اليوم تنتهي قصة لتبدأ قصة.. قصة كفاح طويل مرير.. لنصنع بايدينا مجدنا الجديد".

Scanned with CamScanner

وسط هذه الظروف الساخنة، بل الملتهبة علي الصعيدين الداخلي والخارجي، صدرت جريدة الأخبار، وشقت طريقها إلي القراء وحققنا بها ولها نجاحاً توزيعياً منقطع النظير. وإذا لم يكن من شئوني ولا يدخل في نطاق خبرتي أن أقدم للقارئ صورة عن أسلوب التحرير الذي تميزت به " الأخبار" عن باقي الصحف الأخري، الذي جعلها الصحيفة المفضلة لدي الغالبية العظمي من القراء، فإنني – علي الأقل – أستطيع أن أشير إلي نقاط الجذب التي كانت خير معين لنا في عملنا التوزيعي، فبقدر ما كنا نبذل من جهد للوصول إلي القارئ في كل مكان، وفتح أسواق جديدة لصحفنا، بقدر ما كان القارئ نفسه يبحث عنا، ويتقرب منا، ومن هذه النقاط الإيجابية التي ساهمت في مد جسور الثقة بين جماهير القراء وصحف أخبار اليوم، وخاصة صحيفتها اليومية " الأخبار".

أولا: أن المؤسسة ابتدعت نظاماً مبتكراً لرئاسة التحرير.. فلم يكن هناك رئيس تحرير واحد للأخبار كما هو مألوف في الصحف الأخري، بل أسند هذا المنصب إلي أربعة من

Scanned with CamScanner

كبار الصحفيين يتكون منهم مجلس التحرير الذي يرسم سياسة الجريدة.

وبالإضافة إلي ذلك كان يعقد اجتماع يومي يضم رؤساء التحرير والمحررين والمصورين والرسامين، للاتفاق علي خطة عمل تكفل المتابعة المستمرة، وتحقيق سبق صحفي جديد كل يوم.

ثانيا: كان الأسلوب التحريري جديداً تماماً علي الصحافة المصرية، ويكاد يكون قريباً من أسلوب البرقيات، فكانت الأحداث الهامة تقدم في صورة أخبار قصيرة بعيدة عن الحشو والتطويل الذي يضيع وقت القارئ من ناحية، ومن ناحية أخري تقدم له علي الصفحة الأولي صورة متكاملة عن أحداث اليوم السابق.

ثالثا: كانت الأبواب التي تقدم خدمة مباشرة للجماهير، حلقة وصل قوية بين الصحيفة والقراء، ومنها أبواب: ليلة القدر – عيد الأم – أسبوع الشفاء – لست وحدك.

Scanned with CamScanner

رابعا: الأقدام علي خطوات مثيرة ومفيدة في نفس الوقت تجذب القراء وتثير اهتمامهم، مثل دعوة فريق الكرة البرازيلي الشهير الذي كان يرأسه " بيليه" لزيارة مصر، وكذلك أنا أصلان مكتشفة عقار أعادة الشباب (H3).

خامسا: الاهتمام الشديد بصفحات الفن والرياضة والحوادث والأدب، وحين أخذت الصحف الأخري تسير علي نفس المنوال، وتنتهج نفس السياسة التحريرية، كان علي أخبار اليوم أن تواصل السبق والتميز، فأصدرت مجلات متخصصة تشبع رغبات القراء في هذه النواحي:

- ففي عام ١٩٥٥ صدر مع أخبار اليوم ملحق منفصل باسم " أخبار الكاريكاتير" يصور بالرسوم جميع الأحداث الهامة، ثم لم يلبث الملحق أن أنضم إلي أخبار اليوم ذاتها.
- وفي ديسمبر ١٩٦٨ صدر أول عدد من سلسلة " كتاب اليوم" الشهرية، وكان بعنوان " خواطر وأحاديث" من تأليف فضيلة الشيخ المرحوم أحمد حسن الباقوري، ومن أوائل الكتب التي صدرت في هذه السلسلة: " إيران فوق

Scanned with CamScanner

بركان" لمحمد حسنين هيكل - " عمالة وأقزام" لمصطفى أمين - " هكذا تحكم مصر " لعلي أمين.

- وصدر " كتاب اليوم الطبي " اعتبار من ١٩٨٢/٢/١٥ وكان أول كتاب في السلسلة بعنوان : " أسرار الحمل والولادة" من تأليف الدكتور أحمد طلعت.

  - أخبار الرياضة: صدر أول عدد منها في ١٩٨٩/١٢/٢٦.
  - أخبار الحوادث: ١٩٩٢/٤/٩.
  - أخبار النجوم: ١٩٩٢/١٠/١٠.
  - أخبار الأدب: ١٩٩٣/٧/١٨.

وكل من هذه الإصدارات كان يمثل فتحاً جديداً في عالم الصحافة وخدمة متميزة تقدم لجماهير القراء.

وفي مطلع عام ١٩٥٥ - أي بعد صدور جريدة الأخبار بنحو سنتين ونصف السنة - كان حجم العمل الذي تضخم وأخذ يزداد يوماً بعد يوم، يقتضي توزيع المسئوليات وتحديدها، لذلك

Scanned with CamScanner

تحولت مؤسسة أخبار اليوم إلي أربع مؤسسات تتكامل وتتعاون علي أداء نفس الرسالة. هذه المؤسسات هي:

- دار أخبار اليوم: وهي شركة تصدر – في ذلك الوقت – أخبار اليوم وآخر ساعة والجيل والأخبار.
- مطابع الأخبار: وهي شركة مستقلة عن دار أخبار اليوم في إيراداتها ومصروفاتها، وتتولي طبع صحف الدار وغيرها من الصحف والمطبوعات.
- إعلانات الأخبار: وهي شركة تتولي امتياز الإعلانات في صحف أخبار اليوم وغيرها من وسائل الإعلام.
- توزيع الأخبار: وهي شركة توزيع صحف أخبار اليوم وأيضاً صحف ومجلات الغير.

Scanned with CamScanner